اليهودية

تأليف

مراد فرج

بمصر

L'ISRAÉLITE

PAR

Morad Bey Farag

Caire

٢٥ يونيه سنة ١٩٢٠

مطبعة التوفيق بمصر

المؤلفات

رسالة فى الاموال
المجموع فى شرح الشروع
التهذيب
النهلست في الروسيا
(نفدت نسخها)

دعاوى وضع اليد طبعة ثانية
مقالات مراد
ديوان مراد
شعار الخضر
الفروق
القراؤن والربانون
اليهودية وهو هذا وثمن النسخة عشرة قروش صاغ
تطلب هذه المؤلفات من صاحبها ومكتبة هندية والهلال وغيرهما بمصر

فاتنا بعض الخطأ في الطبع منه ما يأتي

او	والصواب	ان	وجه ١١٣ — ٧
الاستاد	«	الاستاذ	« ١١٧ — ١٦
أوتي	«	أتى	« ١٤٠ — ٢
يامديد	«	ياابنير	« ١٥٩ — ١٣

و بالوجه ٨٣ بالسطر الثالث كلمة هطيل بكسر الاول وتشديد الثاني ولكنها في لغة التوراة بامالة كثر الاول وتخفيف الطاء

ونرجو ممن يريد ان ينتقد ألاّ يكون تأثره للكراهة العمياء خاصة ام عامة بل لمحض خدمة العلم والانسانية

ولدنا العزيز توفيق مراد المحامي بمصر
كل مؤلفاتي توجتها باسمك اهداء فاليك هذا

والدك
مراد

٢٥ يونيه سنة ١٩٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين وبعدُ فقد كان المعوّل ألا اضع له مقدمة طمعاً في ان فراغه منها يشوق الى العلم بما به ولكني توجست والوقت آخر لحظة ان قد يكون ذلك الفراغ داعياً بالعكس الى الاستخفاف بالكتاب لظن انه كبعض القصص العادية البسيطة فضلاً عما توجسته ايضاً من احتمال اساءة الفهم عند البعض في مقصدي من الكتاب فرأيت ان انوه بما انطوى عليه وما اقصده منه بكلمة موجزة فهو وان كان ظاهره قصصياً فقد اشتمل على جملة مسائل شرعية عند اليهود من قرائين وربانين وقد اقتضى الخوض فيها الكلام على نظيرها وعلى عدة امور أخرى فى الشرع الاسلامي والسبب ان احد احبار الربانين وهو ما دعانا الى وضع هذا الكتاب وضع مؤلفاً طعن به على القرائين وعقائدهم وظنّ انه يحط من قدرهم في زعمه بتشبيههم بالمسلمين ولقلة علمه بالشرع الاسلامي تخبط في مسائل كثيرة منه مثل قوله ان النبيّ عليه السلام كان يحمل معه دائماً حمامة في جيبه وظنه انه حرّم المباشرة في الجمعة

كاستحرام القرائين اياها في السبت وقد انتقد السجود والركوع وخلع النعلين واشتراط الاغتسال من الجنابة وحرمة التزوج ببنات الاخت والاخ والعناية بالعلوم الفرعية الموصلة الى علم الفقه وغير ذلك مما هو كثير وسيأتي بيانه هنا اجمالاً بقدر الاهمية مع بيان مواضعه من الكتاب فرددنا عليه وبيّنا خطأه وفندنا مطاعنه بالجملة ضمن ردودنا عليه في كلامه على القرائين وما قصدنا بذلك الا خدمة العلم بياناً له منعاً من تأثير الجهل او غير الحقيقة على من لا يعلم بها لما لذلك التأثير من اثر البغض والعداء بين الناس والناس ولا شك انها خدمة انسانية نعم ان الامة لا تؤخذ بجريرة الفرد منها ولكن الامم اعتادت ان يتاثر بعضها من بعض بسبب الافراد فما اقلّ الانصاف بينهم . على ان ما توسلنا به من الاسلوب القصصي توصلاً الى الغرض الاصلي ما هو مع ذلك الا شيء من الادب والاخلاق والفضيلة والعلم والتأريخ وقد تناول الكلام على الازهر الشريف والاضطراب في مصر وعلى شكوى قدمت من بعض القرائين الى نيابة محكمة مصر الاهلية لتزوج احدهم بسيدة من الربانين الى آخر ما اشتمل عليه الكتاب مما تراه من البيان الآتي وهو

وجه

وجه

وجه

وجه

اليهودية

ماهذا الغرام الذي حلّ به فتمكن منه واستولى عليه وملكه في قبضة يده اسيراً لافكاك له وأخيذاً ليس له مفرٌّ ولا مناص

يقضي الليالي وحده ودموعه * على خده تجري ولا أحد يدري
وعيناه لا تنفك عن نيراتها * كأن لها شأناً بهذا الهوى العذري

ولقد كان خلياً لايدري ما الهوى ولا ذنب له الا ذلك الملك الساحر وبحر الجمال الزاخر أوما كان يقع بخلده ان ظبية تصيده وتملك مقاليده تشغله عما أراد وتذهله عن الارتياد وقد قصد أباها في داره عسى ان يقبله بين عمال مصرفه الكبير ففتحت له الباب واستقبلته بالترحاب فكانت هي النظرة وصرفه أبوها معتذراً بكثرة العمال وان ليس لديه محل خال

أمقدراً قد كان لي * هذا التدله ياترى
لعلها رؤيا منام * أو حديث مفترى

ومن غرائب الاقدار ان ما كان لذلك الفتى من تلك الفتاة كان لها منه مثله وأشد فقد وقعت نظرتها اليه وقع السهم في الحشا والسحر للنهي

كأن روحهما من قبل خلقهما * من جوهر الحب قد صيغت معانيها

قالت في نفسها ومن هو ياترى وأين مقره وانه ليلوح لي انه مثلي من آل يعقوب وان أبي لتسرع في رده مع انه لحظولا بد ماهو ظاهر على محياه من شدة الذكاء وكرم الخلال وشرف الطباع ورقة الاحساس ونور الوجدان ياليته وعده فيعود او ياليته عرف اسمه ومكانه

اتدري بحبي ايها الملك الذي * هبطت على روحي بحبك والوجد
وهل بك شيء مثل مابي قد عرا * فؤادك مثلي من غرامك يا ودى

هـذا والفتى يحدث نفسه بمثل هـذا الحديث ويردد مثل هـذا الهاجس ولا يدري احدهما بالآخر فكانت وقعة عين وافترقا

وما زال الفتى غريقاً في بحر الافكار تتقاذفه الهواجس والاكدار يقول ماذا اعمل وقد شغفت بحبها والرجل صدني صداً ولم يسمح لي ببارقة أمل فاعود اليه واني يعلم الله عزيز النفس كثير الحياء أهون عندي الموت من طرق الابواب حتى للحياة الشريفة ووصل الاسباب ولكن الحب غلاب للطباع قهار للشجاع فلا أقل من ان اكتب اليه عسى ان يكون قد خلا عنده محل أو يستدعيني فاعلمه مزاياي وكفائتي فاكون قريباً ممن استهواني حبها وأسرني هواها وأنشأ يكتب

سيدي الموقر المالي الشهير هليل راصون بمصر

لايحسبنها لي سيدي سيئة اذا أنا شغلته بعض وقته الثمين بتلاوة كتابي هـذا والجواب عليه اذا أراد فلولا شدة حاجتي وانك مرجعها وموضعها ماحمات نفسي هذا العبء الثقيل عبء إشغالي وقتك بعض الاشغال ولديك ما لديك من المهام مما لايدع لك من الزمن ما يسمح بالالتفات الى شأن عابر طريق مثلي او اذا عددتها سيئة فاغتفرها فما هونها عليّ غير الحاجة وتوسم الخير فيك وقدجعل الله الناس درجات لينفع بعضهم بعضا وبعدُ فلعلك ياسيدي تتذكر انه منذ بضعة أيام تقدم اليك أحد الشبان برجاء ان يجد عندك وظيفة له في مصرفك العامر الكبير فصرفته معتذراً بكثرة العمال وان ليس لديك محل خال فهو انا ولم تزل بي الحاجة كما هي وأشد وقد ألجأتني انا اكرر عليك السؤال واجدد الطلب مبيناً لك ياسيدي اني على عدة لغات ومزايا تجعلني ولا فخر اثق من النفس بالكفاءة بفضل الله وقد حببني فيك أخلاقك الكريمة العالية وصفاتك النزيهة السامية ولكني خشيت ان تصرفني بمثل ماصرفتني به فأنبت كتابي هذا عني ليحول بيني وبين الخجل ان كان فاذا بدا لك ان احضر لديك لترى رأيك فعلت ان شاء الله

يديد بجاي بمصر

كتب الفتى هذا الخطاب وأرسله الى الرجل بالبريد وهومدفوع بدافعين دافع العمل للحياة ودافع الشوق وحب الفتاة و هي مذ وقع

نظرها عليه في شاغل لا يهمد وتأجج لا يخمد لا يهدأ لها نوم ولا يقر لها قرار وهي تعمل مع والدها في المصرف فتفض الرسائل وتقرؤها ولكنها في حجرة وحدها بمعزل عن العمال فما كاد يقع نظرها على الخطاب الا وكأنها احست قبل ان تفضه انه ممن تيّم فؤادها وملك قيادها وما اسرع أن صدق حدسها وتحقق ظنها فقرأت الكتاب وبكت ولكنها خشيت انّ يفاجأها الوالد أو أحد العمال فمسحت دموعها وتمالكت وقبّلت الكتاب وضمته الى صدرها ثم أتت على الرسائل حتى آخر كتاب منها وجعلت كأنها لم تتأثر من شيء ودخل ابوها فاطلعته وجعلت كتاب صاحبنا في الآخر .قال ارى ان ندعوه ونرى رأينا فيه وربما ألحقناه بالوظيفة التي خلت. وكانت الفتاة تختلس النظر اختلاساً وتقتنص الفكر اقتناصاً لترى مايشير به وقلبها يطير تمنياً أن لو تكون الاشارة بطلبه ولكنها كانت متأدة في حركاتها حازمة في سكناتها محترسة من ان يبدو عليها شيء من دلائل الاهتمام بالفتى والتعلق به مع ما كان من الرجل من التروي والتمكث فيما رأى واشار وما صدقت ان تراه يشير بالطلب حتى هدأ روعها وسكن ولعها ولكنها مع ذلك لم تنبس بكلمة ولا بدرت منها اشارة

قال الراوي فجاء الجواب الى الفتى أن احضر في يوم كذا في ساعة كذا وقد كان في شغل شاغل وهمّ متواصل تذهب به الافكار كل

مذهب وتنسل اليه الاكدار من كل حدب يكاد يتجسم لعينيه خيال اليأس فيدرك باللمس وقلما برق له الامل أو خطرت بباله كلمة عسى أو لعل فما صدق ان جاءه الجواب بالاستدعاء حتى نفّس له الرجاء وكان من خلقه ميالاً الى الاعتدال محبا للعزلة قليل الاتصال لا يتفنن في ملبسه ولا يتزيد بالتصدر في مجلسه ولا يتقدم الجماعة ولا يخرج عن حد التواضع والوداعة لا يأتلف مع نخور ولا يتفق مع مدعٍ مغرور يستأمن ولا يستخون يحسن الظن مع انه فطن لا يعرف له صاحباً غير العلم والجمال والادب والكمال لا يتباهى بالمنديل يضعه في صدره ذات اليسار بارزاً منه البعض ولا يتحالى بالوردة يضعها في عروة الرداء ولا يعرف التدخين بل يمقته ويعجب لمتعاطيه ولا يملأ رأسه عطراً يذهب بالانفاس ويضايق الجلاس

قال الراوي فذهب الى الرجل في الميعاد لا متقدماً ولا متأخراً ودخل مستأذناً فقام له الرجل واقفاً واستقبله استقبالا حسناً واذ استقر به الجلوس قدم له ليدخن فشكر له معتذراً فغبطه اغتباطاً وزاده توصية واحتياطاً ثم اعلمه بوصول الخطاب واعتذر له عن اعتذاره واكد له صحة الاسباب قال له اما الآن فقد آن الاوان اذ خلت عندي وظيفة تليق بك احتفظتها لك وقد رأيتك من نعم الله تحسن الفرنسية والانكليزية والعربية قال وأجيد العبرية .قال ولكن ما الذي حببك

فينا وجعلك تميل الى الاتصال بنا وما محلنا بقبلة التقدم والرقي لشاب مثلك في مقتبل الشباب . قال يا سيدي حسن صفاتك وكرم مزاياك وعلوّ همتك والتفاتك الي عملك ورضى الناس عنك وآمل ان يكون لي شيء من النجاح على يديك فمحلك هذا الكبير علاوة على انه مصرف مشهور فهو ايضاً يشتغل بالتجارة وهي مع الاستقامة والشرف والالتفات والحذر وحسن التفكير كنز لا يفنى ومورد لا ينضب وكل تلك الصفات متوفرة في السيد الجليل . قال الراوي فاستملح الرجل كلام الفتى وتوسم فيه الخير والنجاح ونزل في نفسه منزلة المحبة والرضى وقام به وبوأه مكانه في المحل وافهمه ما يناط به من العمل وجعل له اجراً مناسباً في كل شهر قال له ولكني امحصك النصح علاوة على ذكائك وفطنتك اعلم يابنيّ ان الاصل في الانسان الخير لا الشر فاذا استأمنت صاحبك وصدقته واحسنت فيه اعتقادك ولم تسيء فيه الظن فلضرورة ذلك الاصل في ذهنك وانت انسان مثله لاتراك تحط من الانسانية عن منزلتها هذه الشريفة او تحول اصلها الى النقيض ولكن الحياة يابنيّ علمتنا ان هذا الاعتبار كثيراً ماظهر خطوءه وتبيّن باطله وكثيراً ما وقع الانسان في الخسارة والضرر بذنب ذلك الاعتبار فان كثيرين من الناس تراهم مثل غيرهم بصورتهم الانسانية ولكنهم في الباطن ذئاب ناهشة وكلاب مفترسة بل ربما جاءك

الخدم وعليه من الثياب انظفها واجملها وله من الكلام احلاه واحكمه يتمدح بالصدق والامانة ويستنزل اللعنات على الكذب والخيانة وهو خالق الاكاذيب ورب المفتريات وابو التفنن في الحيل وجرثومة النصب في الطرقات فلا يخطر ببالك ذلك الاصل يابنيّ الا مع كل احتراس وحذر وتوق وارتياب بل اعكسه الى النقيض واقلبه رأساً لذنب فقد صدق ابو العلاء في قوله

فظن بسائر الاخوان سوءاً * ولا تأمن على سرّ فؤادا

وصدق القائل ان سوء الظن من اقوى الفطن فانا امحصك النصح يابنيّ تخذه عن خبير ولا ينبئك مثله . قال الراوي فاستمع له الفتي واصغى واعتبر نفسه مديناً له حمداً وشكراً . وكانت الفتاة تتسمع من وراء الباب وهي في حجرتها داخل حجرة ابيها فاعجبها بيان الفتى وحسن القائه وتأنيه في الاستماع وترويه في الجواب فزاد به اعجابها وعظم اليه ميلها ولكنها اخذتها الحيرة والدهشة وجعلت تسائل نفسها لمَ هذا التعلق وهذا الهيام من اول لمحة وهو غريب لم يكن معروفاً من قبل ألأنه اسرائيلي مثلي ما اظن الجنسية تعمل هذا العمل في الارواح كالسحر للعقول او تعاطي الراح بل كم للجنسية من عداوة وللوحدة من كراهة وبغض ما اظن الا ان دمه وافق دمي وروحه وافقت روحي فاتصل منه الىّ موجب لطيف لا يدرك ورسول من ملائكة الحب لا يخيّب واذا بالباب يفتح ويدخل

ابوها يخبرها بالعامل الجديد قال لها توسمت فيه الخير وتبينت فيه النجابة والنبل وجعلت له كذا في كل شهر وبوأته مبوأ فلان وقد ظهر انه منا وليس غريباً عنا وان لم اسأله عن رهطه وحسبه وبيته ونسبه فلم تزد الفتاة على ان طأطأت رأسها علامة السماع وقولها لعله خير يا أبي وانت مالك الامر تفعل ما تشاء

—٢—

مضت الايام وجاءت الايام والكلام بين الفتى والفتاة لا يتعدى اللازم ولا يتجاوز المقتضى ولكن الاستحياء رفع بينهما نوعاً وانس احدهما بالآخر وكادا يكاشفان بعضاً كلٌّ بما في نفسه او بما يقرب منه الى ان اتيح لهما الخروج معاً للرياضة بعلم ابويها فقال كل في نفسه انها فرصة للحديث ونهزة للسمر ولكن ما ابطأ استدراجهما البعض فان الرصانة ما زالت تتغلب غير ان الفتاة لم تعد تقوى على الصبر والاحتمال فسألته اخاطب وقد بدا الخجل على وجهها فزاد توردا قال افعل ان شاء الله وفي نفسه انها مطمح انظاره وغاية آماله ولكنه كان في ذات الوقت يمثل في ذهنه استحالة الأمر وتعذر الوصول اليه . قالت ولكني اراك تفكر كأنما يتنازعك عاملان . قال واي عاملين تريدين قالت اعرف احدهما واما الآخر فلا . قال وايهما الذي عرفت وتبسم فابتسمت مثله وسكتت وادرك انها فاهمة فهمه فهو عامل الحب لها

والميل اليها . قالت ولكني اريد معرفة العامل الآخر . قال سترين نبأه بعد حين وتنفس الصعداء . قالت اكدت ظني وثبت حدسي وما اشد تكتمك واعظم توقيك قالت ولكن من الحب الا تكتمني سرك وتضن على بخبرك . قال استدرجتني سامحك الله وما كنت بالسهل القياد. قالت وما الذي ظفرت به منك حتى هذه اللحظة وانت شديد الحذر لم تزل كثير الثبات . قال الراوي فرأى الفتى انها تكاد تلزمه البيان وتخرجه عن الكتمان لولا عدم مناسبة الوقت بعدُ للافضاء بما في نفسه فوعدها به بعد قليل وامسك بيديها مؤكداً لها حسن طويته وكرم سجيته وامنها من الخوف وما زال بها حتى سكتت ولكنها جعلت تفكر في نفسها ماذا هو يا ترى ذلك الامر الذي يكنه في صدره ويتحاشى ان يخبرني به أغير اسرائيلي هو لا بل اراه ويجيد العبرية أمتزوج لا يلوح عليه ولا اخاله يخدعني وبين هي كذلك اذا برجل يدنو محيياً يساره وينصرف .قال الراوي فامتقع وجه الفتى قليلا ولكنه ما لبث ان ضبط نفسه وملك حسه وتغلب على اضطرابه وتضاحك. قالت اراك اضطربت وتأثرت فما الذي سارّك به صاحبك قال شيء لا يهمني لولا ما فيه من وحشة البعد والفراق . قالت لعلك الى القتال طلبت. قال هو كذلك ووقى الله ذكاءك عين الحسود قالت والى بلاد القدس لعل الطلب . قال اصبت الهدف ولم تخطئي

المرمى وفدتك نفسي فاغرورقت عيناها بالدموع وكانا قد قربا من الدار فدخلا فسألتها امها لمَ تبكين فأجهشت وكادت تعود الى البكاء واذا بأبيها وفي يده خطاب باستدعاء يديد الى القدس للقتال فاعولت الفتاة وانتحبت فنهرها ابوها وانكر منها هذه الحال. قالت رفقاً يا ابي فانا ابكي لخوفي عليه من الموت وهو شاب كالزهرة في كمها لم يزل وقد عرفناه وعرفنا وصار كأنه من الرهط والنسب. قال يعود سالماً ان شاء الله وهو انما يذهب جهاداً عن بلاد الآباء والاجداد بلاد القدس التي وعد الله بها ابراهيم عليه السلام ففتحوها عنوة وملكوها بدمائهم وارواحهم ثم سلبت منا سلباً وغصبت منا غصبا . قالت او ترى يا ابى الانكليز ينجزون ما يعدون . قال لا اشك ولا ارتاب فهم خلاصة خلق الله في نظرهم ولدولتهم العظمى ينسب الشرف واليها تعزى الحرية والمروءة . قالت ولكننا يا ابت غرس مصر من قديم ولم نعرف لنا غيرها وطنا . قال يديد دعونا الآن من هذا البحث وخوضوا في حديث آخر وليهيء الله لنا من امرنا رشدا . قالت الامُّ أو أشهي من هذا حديثاً عندنا ألم نقرأ في كتابنا العزيز ان اورشليم لا تنسى ابداً فكيف ننساها نعم ان مصر وطننا اليوم ولكنها لا تجزى عن وطننا الاصلي وطن الآباء والاجداد وطن الدين والايمان مشرق الهداية ومهبط النبوءة مناط الآمال ومحط الرحال ولعله قد

آن الاوان واقتربت الساعة . قال يديد او ترين يا سيدتي استقلالنا بها هيّنا ام ترينا نأمن من العداء والاعتداء . قال الرجل كفى ان يكون لنا وطناً قومياً يلمّ الشعث ويجمع الشمل ولكل قوم وطن ونحن باكورة الاقوام واول من جاهد في الآنام فعلى الخير والبركة يا بنيّ ارحل بسلام والله يجزيك عنا سلامة الاوبة وغنيمة الاربة . قال الراوي فلما كان الغد رحل الفتى مودعا ومودعاً بين كلف يشتد به وتكليف لا مناص منه

— ٣ —

كان الفتى للفتاة كالحلم اللذيذ في المنام بل كان السعادة الصحيحة في صحوة الليل وضحوة النهار تراه فتهتز اعصابها بحبه فرحاً وتلذذاً وتمثله بذهنها فكأنها واياه في جنة النعيم فلما فارق وبعد احست كأنها في نار من الآلام او في سجن ضيق سقفه اليأس وأرضه القنوط وجدرانه الشقاء وما زالت هذه حالها تخامرها الغموم وتسامرها الهموم حتى بدا عليها التغير وظهر عليها التأثر مما جعل ابويها في شاغل واضطراب وقلق واكتئاب وهي بكرهما الوحيدة ودرتهما الفريدة بذلاً في تربيتها اعظم مجهود وبالغاً في تعليمها وتثقيفها بما فوق الكرم والجود وهي مع ذلك لم يداخلها الاغترار ولا خالجها الاستكبار بل هي برضى والديها مطوقة الجيد وباكرامها تهتم الاهتمام الشديد فسألتها

أمها امريضة يا استر فندعو لك بالطبيب . قالت لا يا اماه فليس بى من مرض . قالت ولـكني يا استر اراكـ على غير حالتك فوردة خديك تـكاد تذبل وطعامك قد قل ولحظت انه عراكـ شيء من الارق ولست كعادتك من البشر والائتناس فاين اصوات غنائك واين الفـكاهات واللطائف . قالت دعيـنى فما بي من شيء . قالت أقسمت عليـك بحبنا إيّاكـ أن تفصحي بما في نفسك بلا توقٍ ولا حذر. قالت لا أكثر يا اماه من اني أخشى على يديد ان يقتل أو يموت غريباً ولا نراه وقد اشغلني انه لم يكتب الينا منذ سفره. قالت لعلك تحبينه واذا بأبيها وبيده كتاب لها فتناولته وسكتت وشعورها انه من محبوبها فلم ترد ان تفضه بحضرتهـما ففطنا وتنحيا عنها فأقفلت البـاب وفضت الـكتاب وما كادت توقن انه منه حتى تنهـدت وقبلته وقالت حبيبي ومتيمي وامها خلف الباب تتسمع وتسترق النظر من صير القفل

قلبٌ يدق بحبك الفتّان * وهوىً يقلبنى على الا كفان
وصبابة مرت بخاطر مهجتي * فاذا بها نار من النـيران
أتراكـ تذكرني لعهد مودتي * ام قد غدوتُ لديك في نسيان
تالله اني ما بقيت وديعةً * لك وهى أيمان على أيمان

وما زالت بين شكوى وانين وبكاء وحنين حتي اغمي عليها فدفعت

امها الباب فاذا به مقفل فدقته دقات متواليات وهي بين خوف عليها من الاغماء واشفاق من الازعاج فضاق صدرها وكادت تصيح ولـكنها أسرعت بالخادم فدفع الباب فانفتح فأخـذتها على صدرها واسعفوها بالماء رشاً على وجهها وانشقوها ماينبغي من المنبهات وما زالوا بها حتى افاقت فلما رأت نفسـها على هذه الحال وحولها أبوها والخادم واقفاً على مقربة بكت فجرت دموعها على وجنتيها كاللؤلؤ أو كـقطر الندى فقبلتها أمها ولاطفتها وجعـل ابوها ينهنهها ويصافح خـدها الى ان هـدأت وسكن جأشها ولـكنها مالت عيناها للنعاس فقالت اريد ان انعس قليلا فتنحوا عنها وتركوها ثم عادت امها بلطف فكانت نائمة وابصرت الخطاب فخرجت به لتلاوته فاذا من جمـلة ما فيـه انه على عهده لها من التأهل بها لولا ماسبق احاطة علمها به من حذر بعض الموانع فقال الرجل جرى بينهما الحب وتواعدا على التعاقد ولـكن من يدرينا من اىّ العشائر هو وما هو حسـبه ونسبه او ما هي درجتـه ومنزلته ثم اىّ الموانع يتوقع في نفسـه يا ترى اذا قدرنا ان الامر في الامكان . فقالت له امرأته بل لم تـكد تقول الا والخادم وبيده بطاقة فقال لها الرجل اسرعي وردي الـكتاب مكانه ريثما انظر صاحب البطاقة فأسرعت وفعلت وكانت البنيّة نائمـة لم تزل وبعـد ان استقر بالزائر الجلوس قال له عندي لك سرٌّ أريد ان افضي به اليك. قال هات ولك

الشكر . قال ان بين ابنتك ويديد بجاي القرّاء تراسل عشق وغرام
قال القرّاء ! ! قال نعم وتواعدا ان يتزوجا من بعض ولغيرتي على
الدين وبيتك الكريم جئت اليك لاخبرك اذ يجوز ان يتمما الأمر
بينهما بعيداً عنك لعلمهما طبعاً باستحالته شرعاً. قال وكيف علمت ثم
كيف عرفت انه قراء . قال كنا معاً في كتيبة واحدة فعثرت في
حقيبته على خطاب من ابنتك اليه وهذا هو اما كونه من القرائين
فأنا أعرفه ذاتاً اذ جميعنا من ايباتوريا بالقرم فشكر له الرجل واستأذن
وانصرف ودخل الرجل يقول لامرأته عرفنا المانع الذي نوه به يديد
في خطابه . قالت وماذا هو . قال ظهر انه من القرائين والزواج بيننا
وبينهم ممنوع شرعاً كما تعلمين . قالت الزائر أخبرك هذا الخبر . قال
نعم وهذا خطاب من استر له عثر عليه في حقيبته . قالت ولكن ما
العمل الآن أنخبرها أم نتكتم الخبر . قال اذا أخبرناها فربما يئست
فتمرض واذا لم نخبرها بقيت على أملها وهو أمل باطل. قالت ولكن
الامل وان كان باطلاً خير من اليأس. قال اذا هي لم تيأس اليوم
يئست غداً فلا بد ان تعلم.قالت ولكن ليس من الحكمة ان نعاجلها
وانما نتحين أول الفرص ومضت تراها فاذا بها محمومة قليلاً فاستدعت
اباها قال لندعُ لها الطبيب وأمر الخادم باستدعائه فلما حضر قال
لست أرى بأساً وانما هي حركةعصبية خفيفة وانفعال نفساني لا يلبث

ان تزول أعراضه وعليكم بالرياضة بين الخضرة في المتنزهات

- ٤ -

هذا ما كان من امر الفتاة واما ما كان من امر الفتى فقد طعن
في صدره وجرح وشفي وعاد الى القتال فاصيب في مقدم رجله واقتضى
العلاج بتر الاصابع ولكنه لم تتأثر مشيته ولشجاعته واقدامه عدّ من
المستحقين لتقلد وسام الاعجاب وكانت الاخبار ترد الى ابي الفتاة
ولكنه كان يتكتمها حتى عن امرأته لشدة حزمه وخوفه على ابنته
من الاضطراب وما زال الفتى في غيابه حتى وضعت الحرب اوزارها
وعقدت هدنة السلام واذا باشارة برقية يخبر بها انه على وشك القدوم
فجعل الرجل يفكر في نفسه ماذا يصنع وابنته مشغوفة به وزواجهما
ببعض يستحيل أيدعه كما كان ويخبرها بأمره أم يعزله ويحسن اليه
وهل اذا ابقاه واعلمها يأمن تغلب العشق والهوى فربما حدثتهما نفسهما
بالهرب فهربا وبينما الرجل على هذه الحال تذهب به الافكار كل
مذهب دخلت امرأته قالت مالك مطرق وفيمَ تفكر قال كيف لا
افكر او كيف لا اطرق والبنية كما تعلمين تكاد تجن بيديد وهذه
اشارة منه بالقدوم قريباً فلا ادري كيف اصنع اعزله أم ابقيه . قالت
اعزله اعزله .قال اخشى ان يؤثر ابعاده عليها فالاوفق ان نبقيه ونخبرها
باستحالة زواجها به وانه حتى لو شاء ان يتشيع الينا فلا يقبل شرعاً

ثم اني لمبغضها فيه مع ذلك بذكر ما اصيبت به اصابع رجله من البتر والتشوه . قالت بترت اصابع رجله . قال نعم . قالت ومن اين علمت قال جاءتني الانباء بعضها باسمي وبعضها باسمها وتكتمتها حتى عنك وها هي فاقرأي وبينما هي تقرأ اذا بالخادم يخبر ان رجلاً شيخاً يريد لقاءه فقام اليه وترك امرأته وبين هي مشغولة بالقراءة اذا بزوجها يصيح فاضطربت وهرولت اليه قالت ما خطبك ونادت بالخدم ناظرة الى الشيخ شذراً ظانة به السوء قال لا تنادي احداً ولا تتعجلي فالرجل مسكين مثلي وقع فيما وقعنا فيه . قالت ماذا ماذا قال هو يقص عليك فاستمعي منه فلم يبق بي جلد على الكلام . قال لها الشيخ انا ياسيدتي والديديد. قالت وماذا اقضي نحبه فعزرها زوجها قائلا لها امهلي واستمعي له. قال الشيخ لا قدر الله عليه يا سيدتي بالموت فليس لي غيره الا ابنة. قالت ابنة واحدة ونظرت الى زوجها وقالت مثلنا . قال اسمعي ولا تتكلمي قال ولم أره ياسيدتي منذ خمس سنين وبكى فعادت تنظر الى زوجها وتقول مثلنا والله تماماً وبكت. قال أولا تتركينه يتمم كلامه . قالت كيف لا أبكي أو كيف أسكت وابنير غائب عنا كذلك خمس سنين لم نره ولم نعلم عنه شيئا ان كان من الاحياء أو الاموات قاتل الله الحرب ومن تسبب في الحرب وقاتل الله الروس هم وفظائعهم وما يرتكبونه من العداء وسفك الدماء في اليهود لهفي عليك يا ابنير من

يدري اين انت وكيف حالك فقاطعها الشيخ وقال لها على عجل حيٌّ يا سيدتي ولا تخافي . قالت حيٌّ حيٌّ يا ولداه بشرك الله بالخير ونظرت الى زوجها استياء منه بقولها او ما كنت تعجل لي بهذا الخبر او ما كفاك ان اخاه موريس بباريس غائب عنا من قبل الحرب حقاً انكم ايها الرجال أو أيها الآباء قساة القلوب . قال هذا وهم منكن فما نحن بأقلّ عاطفة وشعوراً وانما هي التؤدة في الرجال والخفة في النساء قال الشيخ انصتي يا سيدتي واستمعي ولا تقطعي الحديث فأمري عجيب وحديثي غريب قال كما تعلقت ابنتكم بابني وقد اتصل بي الأمر وجاءني الخبر تعلقت ابنتي بابنكم ولكن خطبي اشدّ ومصابي امرّ فأنتم ابنتكم عندكم في احضانكم وبين انظاركم ولكن انا ابنتي هربت مع ولدكم وبلغني انه جاء بها الى هنا. قالا لم نره . قال هكذا سمعت ولعلهما محتجبان لعلمهما ولا بدّ كما اعتقد بحكاية ابنتكم مع ابني يديد ومعارضتكم لزواجهما ببعض كمعارضتي انا ايضاً طبعاً مثلكم . قال الرجل ومن ايّ البلاد الشيخ . قال من ايباتوريا بالقرم .قال ومن اخواننا القرائين قال نعم . قال وكيف غاب عنك ولدك كل هذا الزمن . قال هو قبل الحرب كان هنا بمصر ليتقن العربية ولما نشبت الحرب انقطعت بيني وبينه الاخبار ثم انا أيضاً أقصيت الى مالطه لاني أنكرت على الروسيا دخولها في الحرب ونددت بحلفائها وبرهنت ان لا فائدة لها منها

وكتبت عن ذلك في الجرائد وخطبت علاوةً على كرهي لها من الاصل لاضطهادها بنى اسرائيل مهما امتازعنهم القراؤن في ذلك لاننا كلنا واحد فضلاً عن الانسانية ذاتها والتألم لها ولان المساواة بين البشر في الحرية والاخاء لابدّ ان تقضي به ضرورة الرقيّ في الحياة يوماً ما وما زلت في منفاي حتى خمدت نار الحرب وانعقدت الهدنة فاطلقوا سبيلي ولعلّ شيخوختي شفعت لى بعض الشفاعة وقد اخترت ان يكون المجيء الى هنا لارى ابنى يديد ولاني كنت علمت وأنا في منفاي ان ابنتي جاءت أيضاً الى هنا وما زلت ابحث حتى عرفت ان ابني توظف عندك وان الذي جاء يابنتي هو ابنك ابنير نخبروني لا أراكم الله ضيراً أين ابني الآن وماذا كان من أمره أيام الحرب. قال له الرجل لاتخف بل اطمئن فابنك حيٌّ يرزق وقد نجاه الله من الموت اذ اصيب مرتين وشفي بمنه وكرمه وان كانت اصابته الثانية في مقدم قدمه اقتضى علاجها بتر أصابعها ولكن مشيته ولله الحمد لم تتأثر وفي أيام قلائل تراه ان شاء الله فقد أبرق الينا اليوم بهذه الاشارة وكنا نتوجّس عليه خوفاً اذ كانت حالته حالة يأس وقنوط يتوقع الموت لنفسه من آن الى آن وهذه قصيدة منه كان ارسلها الينا كأنه يندب بها حظه سلفا.

أترى أعود وانظر الاحبابا ... أم قد يكون لى الحمام مآبا

سبحان من يدري فرّب تغرب ... يُطوى به أجل الحياة كتابا
قل للعشيرة ان لقيت منيتي ... أيّان كنت فما عدمت ترابا
تلك العظام الباليات فما عسى ... يعطى لها من أهلها ترحابا
مسكينة نفس تمرّ وتنقضي ... كالعش أصبح خاوياً وخرابا
ياسلوةً يسلو الغريب بها الضنى ... ردي عليَّ اذا سمحت جوابا
أين الدواء لمدنف ماداؤه ... الا أسى في النفس صار عذابا
أضحى يشبه عيشه في عينه ... بالسجن يرقب للنهاية بابا
ردي عليَّ لعل منك هداية ... تكفي اللبيب تحيّراً وحسابا
ياعقل ساعدني وكن لي راحماً ... فانا ا كاد اشيم منك غيابا
أو ليس يكفي ما الاقيه وبي ... عقل فكيف اذا ذهبت ذهابا
غافلت دهري مرة بسويعة ... فاذا بهم مدّوا اليَّ رقابا
قالوا خلا بحبيبه ولعله ... جعل المدام من الحبيب رضابا
افٍّ لهم غلف القلوب غلاظها ... ظنوا سماجة وجههم آدابا
حسدوا الحزين على مغالبة الاسى ... يوماً بذي سمر له قد طابا
يلقي به أنس الفؤاد وطالما ... عدم الفؤاد لانسه الاسبابا
مني السلام عليك ياذات النهى ... يزكو ويعبق عنبراً وملابا
لاتقطعي عني رسالات الهوى ... ان التراسل يؤنس الاحبابا
فلقد شقيت ولم تدع لي شقوتي ... أملاً فيالله منه مصابا

لاترهقيني بالسؤال فانني ... سرٌ أصاب من الخفاء حجابا
رقي لحالي ان سمحت تعطفاً ... فلقد يكفكف عطفك التنحابا
وتذكريني ان نعيت ترحماً ... ودعي المنون ملامة وعتابا

فبكى الشيخ بكاءً مراً لشدة تأثره واخذت تلك السنوات تمر بمخيلته وجعل يتصور ما اصابه من البعد والفراق والتشتت والاقصاء وحرمانه كل هذا الزمن من ولده وابنته قال فاذكروا لي الآن كيف غاب ولدكم عنكم انتم أيضاً فقال له الرجل اني يا سيدي اراك متأثراً وفي حاجةٍ الى الراحة والسكون فلست ارى ان ازيدك تعباً بطول الحديث ثم هو لا يخلو من التأثير والذي يعنينا الآن جميعاً ان نطمئن اولاً على اكبادنا وأمامنا الوقت فسيحاً فتسمع ونسمع معك منهم قصصهم حين يجيئون وهذا ابنك في طريق الوصول وانت تقول ان ابنتك وابنى موجودان هنا فليهتم كلانا بالبحث عنهما واذا حضر ولدك اخبرتك مسرعاً فصبر جميل والله المستعان واذا شئت فالدار من فضل الرحمن واسعة وانت شيخ كبير فلك ان تقيم عندى حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا فاجابه الشيخ بالسمع والطاعة وشكر واستأذن منصرفاً الى نُزله محدثاً بنعمة الله عليه

— ٥ —

اجل ان ابنير حضر بسوسن الى مصر ولكنه علم اثناء دخوله

البلدان اباها هناك وانه وُشي فيه اليه ان استصحابه اياها هو بطريق التحايل عليها والهرب بها وانه التقى بأبيه يشكو اليه الخبر فلم ير ان يتجه تواً الى الدار فكتب الى ابيه يعلمه انها نميمة كاذبة وان مجيئها بصحبته انما هو للاطمئنان على أخيها قال له فكتبت اليك يا ابي لتعلم اباها مخافة ان تضرّ به وبنا المفاجأة وهو مشبع بالنميمة. قال الراوي فلما وصل الكتاب بعث الى الشيخ واطلعه عليه فصدق وآمن وركبا اليهما فكان اللقاء بهما ابلغ ما يمكن ان يكون في تأثيره ولا سيما بالنسبة الى الشيخ لكبر سنه فجعل يقبل ابنته وهي تقبله ويبكيان بكاءً يفتت الاكباد ويرق له الجماد وانثنوا الى الدار واذا بعجلة أمام الباب والخادم داخلاً بحقيبة وفي الدار جلبة وضجيج فاذا به يديد فلا يدري القارىء أيّ اللقائين كان اشد وأيّ البكائين كان احرّ وقد زاد هنا لقاء الشيخ بابنه ولقاء يديد باخته ولقاء ابنير بأمه اما استر اخته فكانت ببلدة الزيتون عند خالتها تنزهاً وتريضاً فبعث اليها أبوها بمن جاء بها قاصاً عليها الخبر اثناء الطريق فكاد يعتريها الذهول من شد ماسمعت فلما دخلت والتقت بهم بكت وبكوا . قال الرجل كفى ولنقض الليلة معاً جميعاً ولتكن ليلة انس وسمر وليطرفنا كل بما عنده من الحديث ودعوا بعض الاخصاء من رجال ونساء وقضوها ليلة كليلة القدر خير من الف شهر وكانت مسارقات اللحاظ وتفاهم حبات القلوب بين يديد

واستر وابنير وسوسن لا يدري بها الا آله الحب ولا يعلمها الاملاك الجمال وقص كل قصته وخطب من خطب وانشد من انشد فاما ما قصه ابنير فهو

خرجت من مصر قبل الحرب ومضيت الى ايباتوريا عندخالي مغتنماً فرصةعطلة المدرسة طلباً للعافية بتبديل الهواءولما قامت الحرب وثارت ثورتها طلبت الى القتال لفرنسيتي فكان نصيبي غيلوبلي فجرحت ثم وقعت في الأسر بيد الاتراك ولتوسمهم فيّ النجابة والذكاء عرضوا عليّ التجسس لهم على الاعداء فبعثوا بي الى بغداد وكان من بين الاسيرات سوسن وقعت مثلي في الأسر بين جملة من الممرضات وكنت قد عرفتها من قبل سائلة اياّى عن اخيهافقلت لها لا اعرفه لمبارحتي مصرمن قبل فبكت وذكرت لي اباها واقصاءه الى مالطه فشقت وحدتها عليّ جداً وحزنت لحزنها واشفقت عليها فرسمت في خاطري ان انقذها ولابد وان اكون لها كالحجاج(١) للمقلة وقد احببتها وتعلقت بها ولاانكر فانما الحب من الاحساس ومن لا يحب نخير منه الجماد ثم هو حب شرف وكمال ولولاها ماقبلت فاني اكره التجسس وامقته واحتقره لما يقتضيه من ضرورة التخلق بغير الخلق ولما فيه من استراق السمع واختلاس النظر والتحايل وهي امور لا

(١) الحجاج العظم المستدير حول العين

يقوى عليها الا كل ذي مقدرة في التغلب على عواطفه وجعلها كالعجينة بين اصابعه يصورها ويتصرف فيها كيف شاء بل كل من لا حياة له في العواطف ولاسيما اذا كان الغرض منه أيذاء بلا موجب أو طلباً لنفع غير شريف وان كان هو الصائر الذي يدور عليه باب الايقاع بالاعداء والأمن من مكايدهم غير اني جعلت افكر كيف اتوصل الى استصحابها معي لاتمكن من انقاذها فأثرت على القائد العام ان لابد لي من رفيقة أتوكأ عليهاواستعين بها والمرأة نصف جند ابليس أو هي ابليس كله فحسنت فكرتي في عينه ومن حسن حظ الفتاة ان ذكرها لي دون غيرها فحمدت الله في نفسي وقلت لا بأس وبعد أن وقعت المدينة بيد الانكليز قلنا للقائد اننا أسرى وقعنا بيد الاتراك واني فرنسي التبعة من مصر واني جرحت في معارك غليوبلي وان سوسن روسية من ايباتوريا وقعت أسيرة مثلي بين جملة ممرضات وذكرت له أخاها في مصر وانه في الحرب مع الحلفاء وانها يتيمة الابوين والتمسنا منه ان يطلق سبيلنا الى مصر فكأن الله سبحانه وتعالى أنزل في قلبه السكينة والرحمة فلم يتريث في اخلاء شأننا وما زالت المعونة تلحظنا والعناية تحرسنا الى ان وصلنا فكانت أمامنا تلك التميمةالشنيعة واني لاعرف صاحبها فهو عدوٌ لي لالشيء سوى الغيرة والحسد فاذا احتلت فلها لا عليها واذا جئت بها فاطلاقاً لاأخذاً وهذا

والدها وهذا شقيقها جمع الله بينهم فنهضت استر وقبلتها بين دمعة وابتسامة .

وأما ما قصه يديد فذكر اصابته مرتين وما عاناه من الآلام ثم قال لابد لي ان اذكر لكم في الختام اني ونحن بيافا طلب مني القائد لعامه معرفتي الشعر ان احمّس الجنود اليهود بابيات فأنشدتهم هذه القصيدة

يارجال الدين يا اهل الكتاب … يابني يعقوب ياخير انتساب
ياجنوداً جندوا من قبل أن … يعرف التجنيد يوماً في الحساب
قد حملتم ما حملتم في الوغى … فدروعاً وسيوفاً وحراب
وركبتم خير ما تركبه … امة من صافنات كالسحاب
وضربتم في الفيا في همكم … ملتقى المجد وتذليل الصعاب
حيث لاماء ولا زرع ولا … ظلة حيث المهاوى والهضاب
وبلغتم قصدكم من نصره … وتدللتم على الله المهاب
ونشرتم حكمكم بين الورى … وبسطتم عدلكم في كل باب
وملكتم امماً كانت على … قمة العلياء دانت بالرقاب
وفتحتم مدناً كانت على … منعة اعلى واعصى من عقاب
وملوكاً قد اسرتم فانثنوا … تحت ايديكم فنالوه عقاب
يابني يعقوب يابكر الاولى … مدنوا الارض وجاؤا بالعجاب

شرعكم اول شرع في الورى … وهداكم أول الهدى المجاب
ولكم فن الاغاني ينتمي … دفكم والعود نايٌ والرباب
ولكم اعظم تأريخ مضى … لم يزل مسطوره حيٌّ الجناب
وعليكم هبط الوحي كما … كنتمُ اولَ من نال الكتاب
يازماناً عبرت ايامهُ … تركت للعين هذا الانسكاب
اين اين المجد ايام العلي … اين اين العزّ ايام الشباب
اين ابطال لنا كانت لهم … صولة الآساد وثبات الذئاب
اين ارض القدس ارض الملتقى … منبع الخيرات روض الاختصاب
ارض آباءٍ واجداد لنا … ارض بيت المقدس العالي الرحاب
رحم الله الأولى قد أسسوا … وبنوه عسجداً فوق التراب
لم تزل آثار ايدينا به … لم تضيعها صروف الانقلاب
يا بني يعقوب هل من صحوة … لثراه العاطر المسك الملاب
اذكروه مرةً ذكراً على … نهضةٍ منكم بلا ادنى اضطراب
وأعينوها جيوشاً جيّشت … وعدتكم ان تنالوه نصاب
يا بني يعقوب هذا وقتكم … فانشطوا وادعوا اعساه يستجاب
كل انسان عليها طامحٌ … للعلا لا عيب في هذا الطلاب
انما العيب على من يرتضي … في المنى بعد المعالي بالأياب
يا ديار الملك والارث الذي … وعد الله به بعد الذهاب

يا نبيين لنا في ارضها وملوكاً تربهم مسك مذاب
يا دماء من ملايين لنا قدجرت في ارضها جرى العباب
لم تزل تذكركم انفاسنا كل يوم في شروق واغتراب
رضى الله وحيّ وعفا وهدى أمته حسن المآب

قال الراوي فنهض الشيخ فوقفوا له جميعاً لكبر سنه وهيبته قال عفواً عفواً فانما وقفت استئذاناً للانصراف فقد تسلل منا الوقت والمكان بعيد ولندخر ما بقي من السمر الى ليلة الغد حيث تكونون عندي جميعاً بحلوان على العشاء بنزل عين الحياة قالوا لا يأبى الكرامة الا لئيم

— ٦ —

قال الراوي فلما وصل الشيخ الى نزله بحلوان اوصى بمأدبة لهم تليق بهم وبه في حجرةٍ وحدهم بمعزل عن غيرهم ودخل ينام امّا ابنه وابنته ففي اودةٍ وحدهما جنبه فسمعهما يتحادثان وقد تولاه الارق وندّ منه النوم فقالت سوسن كيف رأيت الليلة يا يديد . قال لم يكن احسن منها قط ولن يكون فقد جمعت بين الآباء والابناء والاخوين والاختين في ساعة واحدة ووقت واحد وقلما سمح الدهر بمثل هذا الاتفاق السعيد ولكني يا سوسن ولا اخفي عليك كلفت بحب استر كما كلفت بي واعجبني منها ادبها وكمالها وعلمها وشدة ذكائها وحسن

ذوقها في غنائها وتوقيعها الموسيقي ولا اعلم كيف اصنع والزواج بيننا وبينهم ممنوع . قالت وانا بل لا اريد ان اقول . قال وانت ماذا افصحي ولا تتقي شيئاً فانا اخوك وحسبك مني ما تعهدينه فيّ من تقديري اياك ادباً وكمالاً اتريدين ان تقولي انك احببت ابنير وهو احبك انا يا سوسن شعرت بحبكما بعضاً فضلاً عن افصاحه الليلة بحبه اياك ولست من الذين يمقتون الحب الا اذا كان في غير موضعه ولا انكر ان حبنا بعضا جميعا يكاد يكون في غير موضعه بالنظر الى ما لا يزال باقياً من النفرة بين الفرقتين ولا سيما عند فكرة المصاهرة بيننا وبينهم وبالاخص عند اولئك الذين هم بعيدون نوعاً عن مستوى المدنية العاقلة سواء منا أم منهم. قالت غريب جداً يا يديد ان جميع الامم يتزوجون من بعض الا اليهود بينهم وبين بعضهم من قرائين وربانين مع اننا اقرب لبعض من تلك الامم بل انه اغرب من هذا ان القرائين والربانين يقبلون تهود المسلم والنصراني والمجوسي ويتزوجون به ولا تقبل احدى الفرقتين من الاخرى . قال ان المبحث يا سوسن عويص والخوض فيه يحتاج الى علم باصوله وفروعه حتى تنجلي النتيجة ولا بد من طرحه يوماً ما على بساط البحث بيننا وبينهم على الاقل لتقرير الحقيقة فيه شرعاً فامسكي الآن عن الكلام وقد اخذ النوم يداعب اجفاني . سمع الوالد كلامهما هذا ولم يتحرك وليس ببالهما طبعاً انه سمع ومضى النوم بيديد اما

سوسن فامسك بها السهد ولم يفارقها فجملت الهواجس والافكار تمر بخاطرها كالخيالات المتحركة

واما استر وابنير فلم ينم احد منهما بل بقيا متيقظين يتحادثان والسماء صافية والنجوم زاهية والهواء لطيف والسكون شامل وقد آويا الى طنف يشرف على الفضاء وهذا مادار بينهما من الحديث

ألحظت يااستر كيف كان عزيزسا كئبا واجماً . قالت ربما كان يا ابنير متأثراً من شيء والبواطن اسرار لايعلم بها الا اللهفلا تتسرع ياأخي في الانتقادفلا بد من سبب وليس كل امرىءيقدر على التصنع والتكلف وهو ليس مع ذلك من غرائز الرجل الحر او هوربما كان خيالياً اكثر منه مادياً والخيال انتقال من هذا العالم الى عالم آخر هو العالم الحقيقي والحقيقة الم . قال وهل لحظت كيف كان بعضهم يغتاب البعض . قالت لحظت وماذا تريد من الناس وهم يكادون يكونون اعداء بعض للتفاوت بينهم في الشعور والاخلاق وآداب النفس واني لأراك تتكلف الاغراض فليس ماتقوله عين مافي ضميرك وهذا يدلني ان الانسان كثيراً ما يتحاشى فيتنقل بلسانه غير تنقله بجنانه بل اني لموقنةانك بعد ان كان بذهنك كلام بعينه رجعت وبدلته بآخر . قال انك يااستر بعيدةالمرمى تريدين ان نذكر يديد.قالت وان نذكر أيضاًاخته سوسن فكما تعرض بحبي اياه اجهر بحبكما بعضاً . قال

ولكن ماذا تصنعين اذا جاءك خاطب . قالت لاخاطب لي سواه قال علمت شيئاً وفاتت عنك أشياء.قالت فاثني ماذا . قال ربما كدرك الخبر . قالت لا بل قل ولا تخف . قال ماذا تظنين الشيخ وبنيه أتحسبينهم منا . قالت تريني القمر وتظنني غافلة. قال ازيلي الرغوةعن كلامك فينجلي الصريح . قالت اتظن ياابنير ان سراً من الاسرار يبيت مكتوماً أتحسب انه لم يبلغني انهم قراؤن وان يديد بترت أصابع رجله .قال وكيف علمت.قالت وسيعمل أبويّ على تبغيضي فيه بذكر أصابته وتشوه قدمه كما يقولان . قال ومن أين لك ذلك . قالت علمت وليس من سرّ تحت السماء . فمهما احتاط الانسان للتكتم فلا بدّ من العلم مصداقاً لقول الشاعر كل سرّ جاوز الاثنين شاع . قال وهل خرج السر الى ثالث . قالت المقصود بالاثنين الشفتان فاذا جاش السر من الفؤاد الى الشفتين شاع ولا بدّ هذا هو غرض الشاعر ياابنير وهو صحيح ولاخالك الا متغابياً لتسبر غوري. قال لله درك قالت بل اني أزيدك علماً فاذكر لك شيئاً لا يعلمه أحد وهو ان يديد تطوع من نفسه لانه دعي فابى وما تطوعه الا كرها للحياة ليأسه من مآربه العالية ومنها حبه اياي واستبعادهالزواج بي قال.ولكن ماذاترين في امتناع الزواج بيننا وبينهم . قالت أو حتى اذا اتبعت عقيدته أو اتبع عقيدتي. قال نعم وما أشدّ جراءتك . قالت أو حبر من الاحبار

فتقفي ابحث المسئلة أولاً وانعم فيها النظر وما هي بجراءة مني ولكن هو التوق الى العلم للوقوف عليه ثم يفعل الله ما يريد ولا أظن والدي يتعيب يديد أو يتعيبه يقيناً بما قدر له من الاصابة وبتر أصابع رجله فان الامر بالعكس فخر للفتى يدل على خوضه الحرب وعلى انه مقدام بطل شجاع ولا إخالك ناسياً قول شاعرنا السموأل

تسيل على حد السيوف نفوسنا * وليست على غير السيوف تسيل

واني ذاكرة لك يا ابنير اني لاعجابي به وحبي اياه أعددت له قصيدة من اثنين وأربعين بيتاً اهنؤه وامدحه بها وستسمعها ليلة الغد ان شاء الله . قال اذكرى البعض منها . قالت ان غداً لناظره قريب وطلع الفجر ودخل كل منهما مخدعه ليغفو غفوة التعب والسهر

— ٧ —

نزل يديد من حلوان صباحاً الى مقر عمله كعادته من قبل وقد أوصاه والده ان يعود بالجماعة مبكراً قبل المساء وان يؤدى عنهم أجر الركوب ولا يدعهم يقومون عن انفسهم في شيء فهم مدعوون فوجب اكرامهم ولما امسى المساء جعل الشيخ وابنته يراقبانهم واذا بهم فتلقياهم بالباب بالبشر والترحاب وبعد ان استقر بهم الجلوس في حجرة وحدهم جعلوا يساجلون الحديث فقال الشيخ ارقت الليلة ولكني غفوت غفوة قبل الصباح ورأيت رؤيا اضطربت لها تدل على

شر يقع في مصر . فقال له ابنير لعل الرؤى يا سيدي خيالات باطلة قال لا تقل يا بني انها خيالات باطلة بل اعتقد انها حقائق تنبيء عن نفسها ولست انقل لك عن الكتب أو الرواة بل عن نفسي فقد رأيت بعين شعوري ووجداني وانا نائم اموراً شاهدتها فيما بعد في اليقظة عياناً وتكرر لى ذلك مرات عديدة على طول الايام حتى نزلت الرؤيا عندي منزلة اليقين وحتى صرت اتصيد بها الغيب بان اوجه افكاري وقلبي الى الشيء المقصود معرفته عند النوم لعلى اظفر به ولكني ولا اخفي عليكم لا اتذكر اني ظفرت مرة بهذه المحاولة وانما كانت الرؤى تجيئني عفواً على غير توقع او انتظار بل من الرؤى ماتقدم وقوعه ببضع سنين ولم يكن يقع بخلدي قط انه يحصل يوماً ما ثم ان بعض الرؤى كان يتحقق كما هو فلا تختلف اليقظة عن المنام وبعضها يأتي بطريق الكناية والرمز ولا ضرورة لان امرد لكم شيئاً من ذلك فكفي اني أروي لكم لا عن غيري وما أنتم بمكلفين بالتصديق ولا داعية للكذب وهو ليس من خلقي . فقالت له استر اذكر لنا اذا سمحت شيئاً مما رأيت . قال سلى سوسن ويديد فهما على علم باحلامي . قالت لست والله شاكة فى صدقك وانما أريد أن أسمع شيئاً ولا سيما ان كلامك يعجبني . قال يكاد يخيل الي اذا حكيت ان عجوزاً وحولها فتيان وفتيات تقص عليهم وهم يستمعون اليها تسلياً وتفكهاً لا لغرابة فى

حديثي وانما لانه لايعني سواي.فقالت له ابنتهاحك لها ياأبي ولوحلماً واحداً .قال لست بحاكٍ وحسبي يعلم الله ان ما من خير أوشر أصابني في دنياي الا رأيتـه في المنام وانما اذكر اجمالاً لكثرة مامرّ بي من الاحلام وما تأكدته منها بطول الاختبار ان رؤيا الفضة ربح والسمك رزق والمقلىٌ منه خسارة أوضياع حق والذهب افلاس أو خسارة أو اعسار والقهوة انشراح والبكاء سرور والخمر كدر والابن خصام والحبوب كلام والخبز طول حياة وحفاء القدمين أو عرى الرأس أو الجسد سوء وهوان ولبس القبقاب علوٌ وارتقاء والطيران رفعةولبس الابيض خير وبشرى ورؤيا المخ علم والنار مصيبة والخضرة رضي ومن أشعاري في الاحلام وكانت تكاثرت محزنة مفزعة أبيات من قصيدة وهي

يمضي عليَّ اليوم احسب انه   ليلٌ فيومي مثل ليلي أسودُ
فاليوم مرآة الهموم جلية   والليل بالاحلام لي يترصدُ
مامرّ بي الا وروعني له   حلم يصح خياله ويؤيدُ
والناس تهنأ بالمنام نفوسهم   وانا اكاد لخيفتي لاأرقدُ

قال ودعونا بعدُ من الاحلام وهيّوا بنا الى الطعام فقاموا وأخذ كل مكانه اللائق به وهم يعجبون بالشيخ وكلامه يسرون بسروره ويتألمون لآلامه وما زالوا وهم يأكلون يتحادثون لا يتعجلون ولا

يفرطون حتى صفت للخطابة الاذهان وصبت للتشنف الآذان فوقف هليل واستأذن وأثنى على الشيخ وبنيه قال انهما قدوة صالحة في اكرام البنين للآباء وشاهد عدل في الطاعة وحسن الوفاء لا يؤلمانه ولا بهاجس في النفس ولا يتعاطيان معه الكلام الا بكل ادب من معنى وحس ولا غرو فهذه هي التربية الصحيحة والصفات المليحة الممدوحة قال وتمنيت ان لوكنا واحداً فنتصاهر ولكن هي العادة او الدين او رأى المصنفين والمفسرين . ثم قامت من بعده سوسن ابنة الشيخ وشكرت له حسن ظنه بهم ومدحه لهم قالت وودت ان لو رزقني الله لساناً ووهبني فصاحة وبياناً ولكنني وقفت الى قصيدة قلتها في غليوم وقت شبوب الحرب وقداحاطت بي المصائب والهموم فان امرتم بها انشدت وان رغبتم عنها سكت قالوا الابل أسمعي ولا تمنعي

قال الراوي فانشأت تقول

لقد كدرت صفو العالمينا   وخربت المدائن والسفينا
واهلكت البرايا مستبداً   برأيك مستخفاً مستهينا
ورملت الضعيفات الايامى   ويتمت المساكين البنينا
واحرقت البلاد بلاد علم   وآثار تسر الناظرينا
وهمت تصادر الارزاق نهباً   وسلباً ممسكاً بالموسرينا

وانزلت الصواعق مهلكات ولم تحفظ جوار الآمنينا
أتدخل دورهم وتعيث فيها فساداً بالمكاره مستعينا
اذا استكبرت يا غليوم فاعلم بأن الله رب العالمينا
يجير المستجير ولا يلبي ظلوماً يطلب النصر المبينا
فمهلاً فالعواقب مظلمات جزاء الغاصبين الظالمينا
تبدد ما ملكت بكل ارض وترجع بالمذلة مستكينا
ألا بالله ماذا قد جنته فرنسا يا عدوّ المصلحينا
وماذا تبتغي بالله منها وقد اشبعته جوفاً بطينا
اخذت بلادها واخذت مالاً اذا ما عدّ اعيي الحاسبينا
فقد حاربتها من قبل حرباً عهدناها فما بعدت سنينا
اذا اكثرته بالعمد نسلاً تحمل عبثه حتى يهونا
فما نزلاً بلاد الناس حتى تحل بها وتجعلها عرينا
وتظلم كيف شئت فقد رأينا مظالمك التي تدمي العيونا
فمن يرضى بحكمك بعد هذا ومن يرضى بملكك ان يكونا
الا فارجع بلادك واجتنبه خراباً فهو يوشك ان يؤنا
وحسبك ما جلبت من الرزايا على من قد نصبت لها المنونا(١)
فقد لاقت من الروسيا صنوفاً من الاهوال زادتها شجونا

(١) اى النمسا

اضعت بلادها وفشلت فيما بنيت له المعاقل والحصونا
فخرت ونازعتك الحرب حتى تكاد الحرب تورثك الجنونا
تخلت عنك ثالثة الاثافي (١) وكنت تظنها العبد الرهينا
وفرق بين من يرجو معيناً ومن لم يرجُ بل وجد المعينا
تألبت الملوك عليك كيما يقصوا من قوادمك الفتونا
ومن عادت مطامعه الليالي أرته من عداوتها شؤونا
اذ عشقتك افراد قلال فقد اغضبت كل العاقلينا
الا بالله ياغليوم قل لى بربك ما الذى احسنت فينا
نشرت العدل في الدنيا صنوفاً وعممت المكارم منك دينا
أم الحرية اكتسبت فخاراً بسيفك ناصر المستضعفينا

ومنها وهو الختام

أكاد أطير انقضّ انقضاضاً عليك امزق الشره الدفينا

فقال لها يديد ما أشدّ سخطك عليه . قالت أوَ غير صحيح ما أقول أوَ قليل ما جره على عباد الله من الويلات أوَ ليس أيسرها وأهونها علينا اقصاء أبينا عنا وابعاده الى مالطه يقاسي عذاب الغربة وحرماننا

(١) اى ايطاليا والاثافي جمع اثفية وهو الحجر الذي توضع عليه القدر وثالثة الاثافي اى الجبل فيسندون القدر اليه اذا لم يجدوا حجراً ثالثاً وهذا كناية عن ايطاليا فانها الثالثة لالمانيا والنمسا

من بعض جميعاً بضع سنين وهل ما اصابك انت يا يديد قليل امايئس كل منا من حياة الآخر وهل ما قاسيته أنا من الشقاء يسير . قال لها ولكن ها نحن ملكنا فلسطين . قالت اذا تحقق ما تقول فانما يكون النظر الى الشيء لا من بعض وجوهه يا يديد بل اليه جملةً فاذا أفادت الحرب قوماً فكم من ضرر اصاب آخرين على اني قد لا أراها افادت بعدُ قال وماذا كنت تقولين اذا انتصر وغلب اما كنت ترفعين له شأناً وتعجبين به اعجاباً وتنظمين فيه قصائد المديح وتتخيرين له من القول كل نفيس ومليح . قالت يجوز ولكن هكذا الدنيا منذ آدم وحواء الغالب فيها ممدوح وان كان ظالماً والمغلوب فيها مهان وان كان مظلوما . فقامت استر وقالت لها هذا مجال ياحبيبتي لا ينتهي له مقال فدعينا منه الى أصحابه الباحثين المنقبين وقولي لي ماذا كنت تريدين أطلق من هذا لساناً وأفصح من هذا بياناً لقد صغرتني في عيني وصغرت ما كنت اريد ان أقول . فقالوا لها لا بل قولي قولي قالت هي قصيدة كنت أعددتها ليديد ولكن قصيدة سوسن ذهبت ببهجتها وأطفأت من نورها . قالت اقسمت عليك يا استر بمن تحبين ان تسمعينا اياها وما نحن الا في ليلة أنس لا في سوق عكاظ فانشدت

أعد للعمر ملبسه القشيبا   وجدد للمنى الصدر الرحيبا

وقل للدهر ان الله حصني   ومن يأخذه حصناً لن يخيبا
هممت الى الردى فثناه عني   وعدت له فأعرض مستريبا
وفوقني عليه الله حتى   رأى مني الكوارث والكروبا
سخرت بناره وبدت لعيني   نواجذ سمه شهداً وطيبا
لعبت به ولاعبني فطوراً   يهاب وتارة كان المهيبا
نصبت لنبله كبدي وصدري   وخافت الحبيبة والحبيبا
فما فتأ ابن عزرائيل يسطو   هنا وهنا يدفقه صبيبا
كماء النهر يوم رماه ربي   بضربته دماً يدمي القلوبا
وما زالت كتائبهم علينا   ترينا من نوائبهم ضروبا
ولكني نجوت بفضل ربي   وكم جرعته يوماً عصيبا
وها أنا بالسلامة يا رفاقي   رجعت مكرماً شهماً نجيبا
رأيت من الحوادث مدهشات   وشاهد ناظري الشيء الغريبا
وكان كأنه حلم وولى   كضوء الشمس ودعه غروبا
أبيت على التراب وفوق جسمي   عراء الجو يمطرني هبوبا
وأيّة مقلة في الحرب تغفو   وكل الحرب مشياً اوركوبا
وان ملنا لنهجع خامرتنا   زلازلها تؤججه شبوبا
تشق بنا بطون الارض شقاً   تدك جبالها تسفي الكثيبا
تفتق تحتها طرقاً كأنا   لسبر علومها خضنا رسوبا

فحرب مالها ابداً نظيرٌ   فلا تذكر بجانبها حروبا
وهذا الصدر مني قد تحلى   بنوط شجاعتي رمزاً قريباً
يديد تركتني في مصر تدمى   عيوني فهي ما انقطعت نحيبا
ويوم اصبت بالارواح تفدى   شققت عليك من جزعي الجيوبا
شفاك الله لم يمسسك سوء   وكان دعاء والدك الطبيبا
فلا عجب إذا قاتلت لكن   نجاتك كانت الامر العجيبا
فسبح باسمه واحمده شكراً   وصل وصم اليه مستنيبا
فقد نجاك في برّ وبحر   وردك سالماً لك مستجيبا
ولا تأسف ففي قدميك ما قد   جرى أو في الاظافر لن يعيبا
وتلك علامة للخير يأتي   وان الكرب زال ولن يؤبا
يديد وكم ملوك طيرتهم   رزايا الحرب او ذهبوا نضوبا
وكم ركن مكين حولته   خراباً يفزع البوم النعوبا
وكم ذا من خلائق اهلكتهم   ضحايا ما عرفت لهم ذنوبا
فثكل فوق ثكل فوق ثكل   وحال تترك الولدان شيبا
فنار في السماء تصب صباً   وجوف البحر متقد لهيبا
وتحت الارض ما ترتاع منه   زلازلها وتفزعها خطوبا
ففوق وتحتها براً وبحراً   شمالاً مشرقاً غرباً جنوبا
وحقك ما القيامة يوم تأتي   باعظم او اضرّ بنا نشوبا

سلام الله صانك لا حرمنا   وجودك بيننا ابداً نصيبا
فأهلاً يا يديد والف اهلاً   لقد وجبت تهانئنا وجوبا
وسل مولاك يلطف بالبرايا   ويمنع عنهم الكرب المريبا
ويهد القوم للسلم المرجى   ويصلح ذات بينهمُ قريباً
وهذا ما قدرت عليه فاعذر   فان لساتي وجبت وجيبا

فوقف لها يديد وتشكر وقد دمعت عيناه من شدّما تأثر وتلته سوسن فقبلتها وأثنت عليها وهنأتها وبدت بوادر التحفز للانصراف وبودهم الا يفترقوا لشدة ما تمكن بينهم من الود والائتلاف

— ٨ —

كأنما رؤيا الشيخ نبوءة فقد اصبح القطر المصري من الشمال الى الجنوب مرتعاً من مراتع التخريب والافساد ومربعاً من مرابع الاعتصاب والاتحاد ومظهراً من مظاهر المطالبة بالحرية ومكافحة الاستبداد والاستعباد فقد قامت مصر على قدم وساق تنادي باستقلالها ممسكة بالخناق فهب المصريون جميعهم هبة واحدة في ساعة واحدة في جميع البلدان على تباعد مواقعها وتنائي ابعادها كأنهم كانوا على موعد بينهم لا فرق بين دين ودين أو مسلمين وغير مسلمين بل ان الدين انقلب عداؤه ودادا واستحالت بغضاؤه محبة واتحادا فتعانق الهلال والصليب وخفقت بهما معاً الالوية والاعلام وتكاتف شيخ الازهر

وقسيس الصومعة وخوت دور الحكومة من العمال وبطلت الحركة
ووقفت الاعمال فأمتلأت الطرقات بالناس احتجاجاً وارتجت بهم
الارض ارتجاجاً وعلت الاصوات الى عنان السماء إما الاستقلال واما
الفناء وحطمت محطات السفر واقتلعت قضبان سكة القطارات
واقفلت دور البريد وعطلت اسلاك المخابرات وتوالت المظاهرات
من اكبر كبير الى كناس الطرقات فكأنما زلزلت الارض زلزالها
وأخرجت الارض اثقالها وقال الانسان مالها وحدثت اخبارها ذلك
على اثر القبض على رجال الوفد الموكلين عن الامة بطلب الاستقلال
واقصائهم الى مالطه أسارى وما هم باسارى فلما رأى الانكليز ان الفوضى
عمت والحال ادلهمت وان الامة بأسرها وقفت في وجههم وقفة رجل
واحد رأت من الحكمة والسداد ان تطلق سراح رجال الوفد فاطلقتهم
واذنت لهم بالسفر الى باريس رأساً من هناك وما ذاع خبر اطلاقهم
حتى عم مصر الفرح والسرور وماجت الطرقات بالناس كالبحر
الزاخر وتحولت الميادين الى منابر لخطب الخطباء والحانات الى مراسح
لنشيد الشعراء ودامت الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام بثلاث ليال
لم يشهد التأريخ مثلها من قديم الاجيال ولكنه لم يلبث الصفو ان
تكدر فاهريقت الدماء وتمزقت الاشلاء على اديم الغبراء ودوى
قصف القاذفات في الانحاء والارجاء واصبح البلد اشبه بمعترك للقتال

بين أهله واصحاب الاحتلال فقتل من الفريقين من قتل وجرح من
جرح ولكن اين الامة الضعيفة العزلاء من الدولة الكبرى المدججة
بالسلاح ثم دارت الدائرة على المتحمسين من المصريين فنصب لهم
القضاء الانكليزي العسكري ميزانه فعلقوا المشانق ووضعوا الحبال
في المخانق ورموا من رموا بمقذوف النار وزجوا في السجن من زجوا
واقصوا من اقصوا وراء البحار واصيب بعض المسلمين في حارة
اليهود وهم يحفرون الخنادق وقد وشى بهم شيخ الحارة الى الانكليز فاسرها
اهل المصابين في انفسهم فاثأروا من الابرياء في يوم الغد وقد كمنوا لهم
في الطريق فقتلوا من قتلوا وجرحوا من جرحوا غير انهم ما لبثوا
ان تفاهموا وتصالحوا وخرج القتلى في جنازة واحدة والتقى نعش محمد
بنعش موسى ومشى المسلمون امام اليهود واليهود امام المسلمين وظهر
احبار اليهود وحكماؤهم في المظاهرات مع غيرهم ونادوا انهم مثلهم
مصريون وانهم عنهم في الوطنية لا يختلفون وهرع منهم من هرع
الى الجامع الازهر الشريف ليخطب فلما نمي الخبر الى الشيخ وهليل
تواعدا ان يشهدا الخطابة وان يقفوا على ما يقوله اولئك الخطباء من
اليهود ولا سيما ان من بينهم سيدة من السيدات وهي اول مرة
لاسرائيلية تدخل الجامع الازهر لتخطب في المسلمين بين أرباب العمائم
اهل البلاغة والفصاحة واصحاب البيان والعرفان

—٩—

ركب الشيخ وهليل هما ويديد وسوسن وابنير واستر الى الجامع
الازهر وكان في انتظارهم بالباب احد العلماء من اصدقاء هليل
فتلقاهم بأدب العلم وسماحة العلماء ورفع مجلسهم وجعل يحييهم ويرحب
بهم والجامع كالبحر يموج بالطلبة لا يقلون عن العشرين الفاً وقد انتشر
بينهم كثيرون من الزوار بينهم المسيحيون واليهود ثم منهم قسيسون
واحبار فالتقى الشيخ المسلم والقسيس والحبر واتحد بهم الزمان والمكان
يظلهم اتحاد الكلمة ويحوطهم ائتلاف القلوب ويقلهم ايمان حب الوطن
ثم طاف بهم لمشاهدة الجامع ذاكراً لهم انه اول مسجد اسس بالقاهرة
والذي انشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى الامام ابي تميم معدّ
الخليفة أمير المؤمنين المعزّ لدين الله وكان الشروع في بنائه في
سنة ٣٥٩ للهجرة وكمل بناؤه في نحو السنتين وأراهم الخط المكتوب
بدائرة القبة في الرواق الاول على يمنة المحراب والمنبر وهو بسم الله
الرحمن الرحيم مما امر ببنائه عبد الله ووليه ابو تميم معدّ الامام المعز
لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الاكرمين
على يد عبده جوهر الكاتب الصقلي في سنة ستين وثلثمائة. قال ويقال
ان بهذا الجامع طلسماً فلا يسكنه عصفور ولا يفرخ به وكذا سائر
الطيور من الحمام واليمام وغيره وهو صور الثلاثة طيور المنقوشة على

رأس الاعمدة وأراهم اياها منها اثنتان في مقدم الجامع بالرواق الخامس
احداهما في الجهة الغربية والثانية على يسار من استقبل سدة المؤذنين
والاخرى في الصحن في الاعمدة القبلية مما يلي الشرقية قال وقد تجددت
عمارته عدة مرات من ذلك العهد الى اليوم وبين هو يشرح لهم ارتج
المكان بقول المتجمعين الخطيبة اليهودية الخطيبة اليهودية واذا بها مقبلة
اقبال الرجال يتقدمها بعض العلماء متشحة بالعلم المصري فساروا بها الى
منصة كانت معدة لها مفروشة بالقطيفة الحمراء فجلست ووقف احد
خطباء الجامع وقال بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد طه الرسول عليه وعلى جميع
الانبياء السلام اما بعد فانا نرحب بالسيدة الخطيبة كل الترحيب ونؤهل
بها كل التأهيل ونوسع لها الصدور ونشكر لها غيرتها الشريفة على العلاقة
الوطنية بيننا وبين بني ملتها وعنايتها بالوطن وحبه ودخولها بين الخطباء
وهي اول مرة لخطيبة في الازهر وان بيننا وبينهم لقربى ونسباً والعربية
والعبرية اختان وجعل يورد بعض الالفاظ مما يستدل به على التجانس
بين اللغتين قال فلتتفضل الخطيبة بالخطابة جزاها الله خيراً
فوقفت فوق المنصة فاشرأبت لها الاعناق واتجهت اليها الانظار
وأصغوا جميعاً اليها منصتين ليروا ماذا تقول ولا سيما انه
ارتجال وبداهة فقالت بعد ان استروحت قليلاً وهي صبيحة الوجه

ناصعة البياض سوداء العينين بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي الانبياء والمرسلين سادتى العلماء الاعلام اهل المنطق وصرير الاقلام اصحاب الفصاحة والبيان ارباب البلاغة والعرفان ان قلبي ليضرب بالشكر والامتنان لما لاقيتموني به من كرم الخلق وصفاء الوجدان وسماحكم لهذه الضعيفة اللكناء بالخطابة في أكبر مسجد بين الخطباء ولكن ان هو الا حب الوطن فهو قد جمع فأوعى نشر العواطف وبعث القلوب ومنع التفرق منعا وحّد العناصر وعقد الخناصر جمع بين الشرائع واكرم الذرائع وحّد الكلمة وأثار الهمّة قتل التنافر وأورث التضافر وبعد فيا كرام الرجال ويا أهل المروءة والنخوة والكمال لقد ساءنا وأيم الحق نحن معشر اليهود ما تسلل الى بعض الاسماع من اننا عن الغيرة الوطنية منفصلون أو عن طلب الاستقلال مستقلون حتى كادت السمعة تضرّ بنا في وسطكم وتسقط من منزلتنا بينكم والحال ان مصر مسقط رأسنا ومنبت غرسنا كنا بها منذ آلاف من السنين وما هجرتنا منها الا لظلم فرعون اللعين فلما ذهب الملك عنا وأخذت الارض منا عدنا اليها وقد استقر بها الأمن وبدل الله عسرها يسرا ولم تكن لتبرح ذهننا فلقد ذكرنا ونحن مهاجرون منها قثاءها وفومها وعدسها وبصلها ومع المواءمة العظمى في الشرع بين الأمتين تجمعنا اخوّة

القرابة ويربطنا نسب المصاهرة فجميعنا بنو أب واحد هو ابراهيم عليه السلام ومن أزواج محمد عليه السلام صفية ابنة حييّ الاسرائيلية من بنى النضير من سبط هارون واننّا أوّل من تجرع غصص الظلم والجور وأول من كافح الاستعباد والاستبداد فكم قاسينا من فرعون وأهله وكم قاتلنا عتوّه وطغيانه حتى ألقاه الله باليم فكان من المغرقين فلسنا ننسى تلك الغصص كما لا ننسى الحرية والاستقلال وان الله ليمتن بهما علينا في كتابه العزيز واننّا لهما لذاكرون في الصلوات بل اننّا لهما لعائدون في كل عام وهذا ما جادت به القريحة القريحة والسلام في المبدأ والختام

قال الراوي فلغط القوم استحساناً وهمس بعضهم الى بعض انها تبسمل كالمسلمين فأجابه المهموس اليه أو لهم الَه ولنا آخر وهل الاسماء الحسنى الا له وهل خلت منها توراتهم ومنها الرحوم الحنّون . هذا وقد وقف أحد خطباء الجامع وشكر لها وامّن على قولها وقال ان أديباً آخر من بنى اسرائيل يريد ان يطرفنا بخطبة أخرى فحيّاه الله وبيّاه وأشار اليه فوقف وهو طويل القامة نحيف الجسم عصبيّ المزاج وقال بعد البسملة جاء في خطبة السيدة الخطيبة ان المواءمة عظمى في الشرع بين الأمتين فلتسمح بان افصلها تفصيلاً بقدر ما يحضرنى فالتوحيد والجهاد لله ومقاتلة الاشراك والمشركين والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر واكرام الوالدين والصلاة والصوم والطهارة. وتوقى النجاسة والعدوى والنهي عن المحارم وغير الحلال من المطعومات كل ذلك في التوراة قبل القرآن بل ان في التوراة حتى الرفق بالبهيمة والطير. والختان في الاسلام سنة وفي التوراة فرض في اليوم الثامن والميتة والدم ولحم الخنزير في التوراة قبل القرآن . والخمر نهى عنها وحذر منها في كثير من المواضع في التوراة ولم يكن تحريمها قطعياً في القرآن بدليل ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى. والمهر وتعدد الزوجات في التوراة قبل القرآن . والطلاق كتابيٌّ في التوراة شفوى في القرآن واذا أنكره الورثة بعد وفاة المطلق فاثبات شفويته اليوم لا يقبله الحاكم . واجتناب الطمث ومنع الجنب من المسجد وغسل الميت وتكفينه ومواراته التراب وخلود الروح والثواب والعقاب كل ذلك في التوراة قبل القرآن قال فنحن توأمان اخوةً وديناً فأحسنوا بنا الظن أحسن الله اليكم والسلام

قال الراوى فلغط القوم اكباراً واعظاماً وقام أحد خطباء الجامع وشكر وأثنى قال وهذا خطيب آخر من اخواننا الاسرائيليين أيضا يريد ان يطرفنا فاستمعوه وأشار اليه فوقف وهو بدين الجسم وقال بعد البسملة سادتي الفضلاء الكرام ان الخطباء قبلي امتكوا ما على الخوان كله فلم يذروا لي حتى ولا الفتات ولكنهم لحسن حظي

والحمد لله سهوا عن فاكهة تركت على شجرها فتعقدماؤها وحان قطافها وانّا لها لمتقاسمون كانت مصر في قلاقل وكانت في معمعة من الحرب بين أهلها لا حرب قتال ولكنها حرب بغضاء وأقوال فكان المسلمون والاقباط على طرفي نقيض وكان السباب بينهما جارياً مجرى الطويل العريض وكان من ارباب الاقلام في الجريدة امرائيليٌّ يكتب من آن الى آن وكان من جملة ما كتبه عشر مقالات بعنوان حرب الوطن كانت كلها كالبذار لما ينبغي حصاده فكأنما الرجل تطلع الى ماسيكون فنبه اليه سلفاً وقد جمعها في كتاب مقالاته[١] منها . « فاني أريد ان أتكلم على شيء له بالدين علاقة ظاهرة فاريد ان أقول ان الجامعة الوطنية لاجل ان تكون وطنية صحيحة يجب ان تكون في حياتها بعيدة بعداً كلياً عما يضرُّ بها من جهة الدين » [٢]

ومنها «فنحن اذا أردنا اصلاح حالنا خارجاً وجب علينا اصلاح باطننا » [٣]

ومنها «فنحن اذا شئنا ان يكون الوطن لنا فليكن لنا فعلاً وهو انما يكون لنا بتغيير أنفسنا جميعاً فنغير من أنفسنا ونجعلها كلها نفساً واحدة أزاء الوطن وهي لاجل ان تكون نفساً واحدة يجب ان

(١) كتاب مقالات مراد طبع سنة ١٩١٢

(٢) وجه ٢٠١ — (٣) وجه ٢٠٢

تخلص النفوس لما بينها وبين بعضها وهذا الاخلاص يجيء من باب نبذ كل مايعوقه في طريقه من جهة الدين » (١)

ومنها « ولا أعظم من ان النفوس جميعها تتحابب ببعضها من كل دين ومذهب فيكونوا كلهم مصريين بالمعنى الصحيح أى بالمعنى الوطني فيتخلف من وراء ذلك قومية واحدة تعرف لنفسها وطناً واحداً فتتغلب الجنسية الوطنية على كل جنسية أو نوعية بعيدة عن الوطنية فيقال لنا جميعاً مصريون قولاً لايختلف القلب فيه عن اللسان » (٢)

ومنها « فالشركة أو العائلة اذا كانت على غير اخلاص أو كانت تعرض لها منها أمور في بعض الاحيان تكدر صفاءها فهي معرضة دائماً للخسارة فضلاً عن فوات المنفعة أو للشقاق والنزاع كلما عرضت تلك الامور فلا بدّ من الحصول على هذا الاخلاص أو منع تلك الامور المكدرة للصفاء ومنع وقوعها » (٣)

ومنها « فان أهل مصر كالأسرة الواحدة لايمكن انفكاك بعضها عن بعض أو كالشركاء في ملك لايمكن قسمته » (٤)

ومن بيانه في قوله والسلام على من اتبع الهدى ان السلام بمعنى السلامة أى النجاة كرضاع ورضاعة وعلى بمعنى اللام أى لمن اتبع

---

(١) وجه ٢٠٢ (٢) وجه ٢٠٤ (٣) وجه ٢٠٥ (٤) وجه ٢٠٦

الهدى لا ان السلام التحية كما يتوهم بعضهم فضلاً عن قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها الى آخر ما جاء به في هذا الباب (١)

ومن بيانه أيضاً في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ان الآية بقية كلام لبعض أهل الكتاب قالوه لانفسهم فيما بينهم وهو «وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم» وان قوله ولا تؤمنوا ليس بمعنى ولا تأمنوا فليست الجملة نهياً عن استئمان اليهودي أو النصراني أو أمراً باستخوانه . (٢) قال ولا اطيل عليكم فمقالات ذلك الاسرائيلي مفعمة كلها بالوطنية وعشق الحرية وحب الاستقلال من زمن بعيد فاحسنوا بنا الظن ولا تسيئوه والسلام

قال الراوي فشكر له الكثيرون وأثنوا عليه واستأذن الشيخ وهليل وانصرفوا وقد سرّهم مارأوا وأعجبهم ماسمعوا

— ١٠ —

بعد بضعة أيام لزيارة الازهر وسماع الخطابة تاقت نفس استر وسوسن هما واخواهما ان يمضوا يوماً في الخلاء في ضاحية من ضواحي

---

(١) وجه ٢٠٩ (٢) وجه ٢٢٠

البلد بعيداً عن الناس للتنزه والرياضة في حريتهم مع بعض فاستأذنوا من ابويهم ومضوا الى الاهرام فبعد ان راسلوها الانظار وجاسوا خلال الديار وذكروا من بناهاوما مضى لها من آلاف السنين دخلوا النزل الذي هناك واذا بخيمة مضروبة في الخلاء على مقربة منه مفروشة بالبساط معدّة فيها المتكآت وبزواياها الازهار والرياحين كان قد هيأها صاحب النزل لجماعة من الرحالة ولكنهم تخلفوا واعتذروا فقال يديد لصاحب النزل اذاً هي للمسعودين لا للموعودين. قال على الرحب والسعة ادخلوها بسلام آمنين. قالوا ولكن السيفين لا يجتمعان في غمد فلا يدخل علينا احد . قال ان لكم ما سألتم فشكروا له واوصوه ان يؤتى لهم بالطعام وقت الظهر وخلوا بانفسهم وخلا الجوّ لهم لا من يسمع ولا من يرى . قال يديد اليوم نسرّى عن انفسنا ونفرّج عن صدورنا ونلهو بالحديث لهو غيرنا بالخندريس. قال ابنير أوّلا أقلّ من قدح من الجعة أو كأس من النبيذ . قال يديد انّا في منقطع عن البلد وقد تجرّ الكأس اختها فتغيب الرؤوس باخت الكؤوس عن الاخت العروس فضحكت سوسن وقالت مالنا بالخمر من أمن . قالت استر وهذه أميركا حرّمت المدام لما تأكدته بنفسها من ضررها بالعقول والاجسام وما اعتاد الناس الخمر الا لما لها من أثر الغيبوبة عن الوجود المنكود ولو عقلوا لاستعاضوها ببدائع الكون يسرح فيها الوجدان

وبجنة الخيال يسبح فيها الجنان . قال يديد وددت ياابنير أن لو كنت من الخطباء ذلك اليوم بالازهر. قال كان ذلك في نفسى من قبلك يايديد وكنت أود ان تكون لى كلمة على هذا الشعب شعب موسى على وجه الارض في كل زمان ومكان اخنت عليه الليالى والايام وافقدته الملك وبعثرته في كل مكان واحدقت بهم المصائب من كل جانب وسدّت الممالك في وجههم الأبواب حتى اضطر معظمهم الى الخروج من دينهم وترك ملة آبائهم وأجدادهم بل انهم رضوا بالمصيبة وهى لم ترض بهم فهذه الروسيا هزأت بالمتنصرين منهم فلم تقبلهم . قال يديد ان هو ياابنير الا مجاراة منهم لحكم الايام لا انه ايمان صحيح فكيف كانت تقبلهم. قالت استر دعوا أمس وانظروا اليوم أو العابر وانظروا الغابر نعم اننا اليوم أحسن منا أمس وغابرنا خير من عابرنا فقد أخذنا فلسطين واستولينا عليها وتمكنا منها واستوطناها وآوينا اليها وصارت لنا موطناً قومياً وانتشرت بها لغتنا وتحصنت بجنود منا ولكننا أصبحنا هدفاً للعداء والبغضاء من جميع سكان البلاد من مسلمين ومسيحيين فهذه ممالأتهم علينا ومظاهراتهم في الشوارع والطرق واحتجاجاتهم ضدنا . قال يديد أصبت والله ما في النفس يااستر نخذ ياابنير واقرأ ما جاء بالاهرام يوم ٨ فبراير و٣ مارس سنة ١٩٢٠.قال قرأت ذلك كله يايديد وعرفته . قالت سوسن انا لم اقرأه فأسمعوني

فقرأ لها ابنير يوم ٨ فبراير « تلقينا من نابلس ان الشعب اجتمع هناك يوم ٢٦ يناير واتخذ القرار الآتي : —

على أثر ما نشرته جريدة المقطم بتاريخ ١٦ يناير في عدد ٩٣٤٧ من ان اكبر مندوبي الصهيونيين المستر هربرت صموئيل توجه نحو فلسطين ليعاون الحكومة المحتلة في كيفية ادارتها وتنظيم ماليتها عقدت الجمعية الاسلامية المسيحية في نابلس الممثلة لعموم الاهالي اجتماعاً عاما دعت اليه وجهاء البلاد ومزارعيها فتحالف الجميع وقرروا المواد الآتية :

١ — مقاطعة اليهود مقاطعة تامة تلقاء مطامعهم في اغتصاب بلادنا

٢ — رفض اسكانهم في مقاطعتنا وعدم قبول دخولهم اليها بأى صفة كانت

٣ — الاستمرار على هذه المقاطعة والمقاومة الى ان لا يبقى أثر للفكرة الصهيونية أو الى ان نفنى عن آخرنا

٤ — رفع هذا القرار لجناب المدير العام للبلاد المحتلة الجنوبية وبواسطة كل من معتمدى دول الحلفاء في القدس لمندوبى دولهم في مؤتمر الصلح ونشره على صفحات الجرائد ليطلع عليه العالم المتمدن

فيعذر الاهلين فيما اذا الجأتهم الضرورة لبذل أرواحهم في سبيل المحافظة على بلادهم

رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية بنابلس

توفيق حماد»

ويوم ٣ مارس « بسط روتر بالايجاز المظاهرات التى قام بها أهالى فلسطين ضد المذاهب الصهيونية ولدينا في البريد برنامج تلك المظاهرات في يوم الجمعة ٢٧ فبراير فقد قالت سوريا الجنوبية :

غداً بعد صلاة الجمعة ، ميعاد المظاهرات السلمية الكبرى وقد جاءنا من اللجنة الموكلة بترتيب برنامج هذه المظاهرات كتاب تقول لنا فيه ان الاهلين سيجتمعون أمام دار الحكومة القديمة . ثم يؤمون بكل سكينة وانتظام دار الحكومة الجديدة (باب العامود) حيث يعرضون علي ولاة الامور البريطانيين مطالبهم ويقدمون اليهم احتجاجاتهم

ولقد ارسلت اللجنة المذكورة كتاباً الى الحكومة المحلية تخبرها فيه عن القصد من المظاهرة وعن الرجال المسؤلين عن ترتيبها وادارتها . كما ان سعادة الحاكم العسكرى الكولونيل ستورس سأل نهار أمس سعادة عارف باشا الدجاني عن البواعث لفكرة المظاهرة وعن شكلها وزمن اقامتها وعن المسؤلين عنها وعن المكان الذي تبتديء

منه والمكان الذي تنتهي اليه .فأجابه سعادة الباشا بقوله «ان تصريحات الجنرال بولز الاخيرة والاستياء الشديد الذى احدثته تلك التصريحات في نفوس الاهلين هي التى قادت الجمعية الاسلامية المسيحية لدعوة وجهاء البلدة واعيانها وادبائها . ففاوضهم في الامر فقرروا اقامة مظاهرة سلمية يحتجون بها على الهجرة الصهيونيه ويظهرون فيها رغائبهم الحيوية وأما المسؤلون فهم الذين ذكرت اسماؤهم في الكتاب المقدم لسعادة الحاكم من قبل اللجنة التنفيذية.»

ثم اكد له ان المظاهرة ستكون سلميه بحتة .وانه لا ينطوى تحتها فكر عدائي لطائفة من الطوائف قط

وقبل ان يفارق دار الحكومة رجاه سعادة الحاكم العسكري أن لا يستعمل المتظاهرون المفرقعات اليدوية. وأن لا يجنحوا لاطلاق الرصاص . وغير ذلك من الامور التى تؤدى الى اقلاق الفكر وتشويش الامن

واليك صورة الاحتجاج الذى سيقدم الى سعادة المدير العام لبلاد العدو المحتلة الجنوبية . والى سعادة حاكم القدس العسكرى الكولونل ستورس ، والى معتمدي فرنسا ، واميركا ، وإيطاليا ، واسبانيا . والى امهات الصحف الغربية الانكليزية والافرنسية والاميركية والايطالية والى جميع الصحف العربية السورية والمصرية

ولقد اتخذت التدابير اللازمة لايصال هذا الاحتجاج الى المراجع السالفة الذكر كي لا يمزق أو يحرق أو يبقى طي الخفاء

صورة الاحتجاج — ان تصريحات الجنرال بولز مدير بلاد العدو المحتلة الجنوبية لمدير جريدة مرآة الشرق في القدس عدد ٢٢ تاريخ ١٨ شباط احدثت هيجاناً عظيماً في نفوس الاهالي وسببت استياء كبيراً فاجتمع جميع اعيان القدس وضواحيها من مسلمين ومسيحيين مع اعضاء الجمعيات في نادي الجمعية المسيحية وقرروا باجماع الآراء تقديم هذا الاحتجاج لجنابكم لتتفضلوا بابلاغه لحكومتكم الفخيمة

ان الامة العربية لم تخض غمار هذه الحرب بجانب الحلفاء ولم تحارب الدولة التركية التي تجمعها واياها روابط عديدة منها الرابطة الشرقية الا طلباً للاستقلال وطمعاً بتصريحات الحلفاء من ان هذه الحرب لم تضرم نارها الا لانقاذ الشعوب المظلومة فكان نصيبها بعد النصر تجزئتها وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود وكما انها كانت على عهد الرومان مهد قلاقل ومسرح اضطرابات فستكون اشد هولاً واسوأ حالاً في المستقبل اذا نفذ وعد بلفور الذى اباح لهم المهاجرة بشرط أن لا تضر بمصالح الوطنيين فكيف لا تضر بمصالح الوطنيين الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية مع ان الولايات المتحدة

وهي الدولة القوية العالمة الغنية منعت هجرة الصفر الى بلادها وسنت حكومة بريطانيا العظمى القوانين لمنع مهاجرة اهالي دول اوروبا الوسطى . فهنا يظهر ان المهاجرة تضر بمصالح الوطنيين ضرراً عظيماً

فلسطين التى ولد وصلب فيها السيد المسيح والتى تعد وطناً لهذا المعلم العظيم تأبى ان تكون وطناً قومياً لامة أساءت اليه بل الى العالم كله

أية أمة عاش بينها اليهود ولم تنصب بينها المذابح وتجري الدماء. وان التاريخ ينبئنا عما فعلت روسيا واسبانيا ، والمانيا ، وفرنسا ، وانكلترا نحو اليهود

فلسطين التى أتاها عمر بن الخطاب فبنى في قدسها جامعاً يقدسه الآن مسلمو العالم كله تأبى أبداً ان تتحول جبالها الى براكين تقذف نيراناً وماء أردنها لدم يسود وجه الانسانية

فلسطين التى قدمت أبناءها هدية لدول الحلفاء أيام الحرب فحاربوا في الجيش العربي الذي دخل سوريا منتصراً تأبى اليوم ان يكون نصيبها الحكم عليها بالاعدام . كيف يسمح لليهود الذين لايبلغ عددهم سبعة في المائة من النفوس ولهم واحد في الالف من الاراضى والاملاك ان يصبحوا أصحاب البلاد وليس لهم في فلسطين أدنى حق واما حقوق العرب فيها فكثيرة واضحة لا تحتاج الى اثبات كما هي

حقوق الانكليز في انكلترا والفرنساويين في فرنسا. انكم أيها الحلفاء ان ناجيتم أرواح واشنطون وكرومون، وروسو، وميرابو، وغاريبالدى تسمعونهم ينتقدون ولا يرضون عن اعمالكم لا تستهينوا بنا واعلموا أن ارادة الشعب من ارادة الله وان البعوضة تدمي مقلة الاسد

وفي الختام نؤكد جميع مطالبنا التى قدمناها للجنة الاميركية وهي استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية من طوروس الى رفح وعدم فصل فلسطين عنا ورفض المهاجرة الصهيونية التى نحن على استعداد تام لمقاومتها الي آخر رمق من الحياة . وقد التمسنا منكم مراراً وها نحن نحتج اخيراً وان اعمالنا ستؤيد مطالبنا ولسنا مسؤلين عن ذلك والسلام

وقرأ أيضاً ما جاء بالمقطم يوم ٦ مارس وهو

أتانا هذا التلغراف من يافا وهو : —

« يوم الجمعة في ٢٧ الماضي قامت جميع بلدة يافا المسلمة والمسيحية وملحقاتها بمظاهر سلمية فاقفلت جميع الدكاكين والمخازن وتعطلت الاشغال براً وبحراً احتجاجاً على فكرة جعل فلسطين وطناً قومياً للصهيونيين والسماح لهم بالمهاجرة وانتهت المظاهرة بسلام

عمر البيطار

رئيس الجمعية الاسلامية المسيحية »

قال يديد وهذه مصر تكاد ترمينا بالمروق والخيانة لتخلفنا عن

الانضمام مع الاقباط الى المسلمين في الحركة الوطنية وطلب الاستقلال التام مهما خطب منا بالازهر من خطب ومهما اتحد قتلانا بقتلاهم في الجنازة الواحدة ومهما مشى احبارنا في المظاهرات فاننا لم ننضم فعلا ولم نشترك معهم اشتراكاً صحيحاً وانا رجل لا اقول الا الحق فلا اقدر أن اخالف ضميري وشعوري ولا عبرة بالبعض منا وانما العبرة بالمجموع كله نعم ان اليهود معذورون في هذا التجنب اولاً لان اغلبهم منتمون الى الممالك الاجنبية ثانياً لان في انضمامهم اغضاباً للانكليز وهو لا يتفق مع مالقوه منهم من المساعدة والتعضيد في جعل اورشليم موطناً لهم ولكنّ الحركة الوطنية حركة هياج وتأثر وامتعاض فقلّ من فكر في ذلك العذر او قل من اخذ به فكأنما اليهود امام تلك الحركة غرباء وبمعزل عنها فهم مساكين لم يقدروا ان يرضوا مواطنيهم في مصر ولا هم في فلسطين مرضيٌّ عنهم ولا ذنب لهم الا وفاؤهم لوطن آبائهم واجدادهم ولا سيما لاضطهادهم من معظم الممالك فلا ضيوفاً هم يكرمون ولاهم في دارهم يتركون يقيمون ومن الغريب المدهش ان يكون من جملة اوجه التذرع فى فلسطين ضد اليهود فى هذه الايام ايام التحابب والتآلف أيام الاخاء والصفاء أيام النور والعرفان أنهم صلبوا المسيح فينبشون المقابر ويستخرجون منها جيف الفتن لاثارة الخواطر واهاجة العواطف ضد اليهود ولا يمكن ان

يكون المسلمون مع المسيحيين في هذا الوجه وان كانت رسالة الاحتجاج مرفوعة منهم جميعاً لما ينكرونه عليهم من القتل او الصلب « وما قتلوه وما صلبوه » واذا كان اليهود صلبوه يقيناً فما المسيحية وبسطتها وقوة نفوذها الا أثر ذلك الصلب فلولا اليهود ما كانت المسيحية كذلك تذرعهم ان اليهود ما حلوا في بقعة الا واحاطت بهم المذابح واهريقت فيها دماؤهم وان صفحات التأريخ ملوثة بالدماء حمراء رطبة لم تزل دماء اليهود بما فعلته بهم روسيا واسبانيا وألمانيا وفرنسا وانجلترا فهل يليق في عقل بشر من الناس ان تكون الاضطهادات والمظالم والمذابح والمعاملة الوحشية ضد اليهود في غابر الايام سبباً اليوم ايضاً لاضطهادهم أفما كفى الماضي الاسود وهل الخلفاء وهم الذين وثقوا عقد السلام ووضعوا ما وضعوه بشأن اليهود الا مسيحيون مثل اولئك الصاخبين. قالت استر دعونا بعدُ من مصر وفلسطين والسياسة والسياسيين والظالمين والمظلومين وريضوا افكارنا بكلمة لذيذة على الحب والعزوبة والزواج. قال يديد اذا لم يكن الزواج عن حب فخير منه العزوبة. قالت سوسن فاذا فارق الحب قال ابنير قلما فارق فانه اعجاب بالصورة والمعنى فاذا اعجبت الفتاة الفتى خلقاً وخلقاً فقلما خانه الحب. قال يديد فوجب ألاّ يكون الزواج الا بعد عشرة تكفي للتجربة والاختبار ووجب ان يكون

الزوجان في سنهما اللائق وان يكونا بارادتهما المحضة وحريتهما التامة بعيـداً عنهما التأثير او الاغراء او التغرير ولا ينبغي تقديم الجمال على الخلال فاذا كملت جمالاً ونقصت خلالاً فالجمال لا يجزى اذ قد تذبل وردته وتذهب نضارته او قد يضعف الحب وتخمد سورته فلا يكون هناك شيء يعوضه ويقوم مقامه وهي الاخلاق ثم وجب ان لا يتسرع العاقل في الحكم عليها فكثيراً ما تكون تكلفاً وتصنعاً حتى اذا انعقد العقد وارتبطت رابطة الزواج انكشف المستور واستغنى عن التصنع وغلب الطبع التطبع يروى ان فتى جعل همه في ان لا تكون من يتزوج بها حادة الطبع عصبية المزاج بل كثيرة الحلم واسعة الصدر فبعد أن اعياه الطلب ارشده بعضهم الى ضالته المنشودة فكان مما جرَّبها به أن اوصى الخادم ان يتعمد اصابة ثوبها بقليل من المرق وقت الطعام ففعل وكان عليها افخر الملابس جمالاً وقيمـة فقامت ضاحكة هادئة البال وبدّلت ثوبها بآخر ورجعت كأن لم يكن شيء فلما تزوج بها ظهر أنها بعكس ما رأى فاستنكر حالها وعجب كيف تغيرت فاعلمته أنه انما كان تصنعا وتكلفا منها وانها حين قامت وبدلت الثوب عضت الباب من شدة غيظها وكظمها وأرته موضـع العضـة . قالت سوسن وأيهما افضل الزواج بلا حب أم العزوبة . قال ابنير العزوبة نعم ان العزوبه وحشة وقلما اطاقها انسـان ولا سيما اذا روعي فيها الـكمال

والشرف وهو ما يجب ولكن الزواج مع عدم الوفاق او قلته اكثر تعباً وأشدُّ نصباً فانه حمل ايجابي والعزوبة سلبيٌّ

قالت استر ولكن الزواج عند الربانيين فرض خلافاً له عندكم يا قرائين فهو ليس بفرض قال يديد ولكني ارى فرضه فهو اقرب الى الدين واوفق للعمران والزم للشرف واجدر بالقرائين فانهم قلة فوجب ان يكثروا

قال الراوي واذا الخادم ينبه الي الغداء فكانت الساعة الواحدة بعد الظهر قالوا له تالله لقد نسينا انفسنا فعجل به عجل فأكلوا مريئاً وشربوا هنيئاً وما زالوا يتعاطون الحديث فقالت استر ليس اروح للنفس واهنأ للبال من الخلوة بمن تحب . قال يديد اذا كان للخلوة سياج من العقل والعفة فبها والا فلا وقلما امنت الخلوة بين محبين. قالت سوسن صحيح يا أخي ما تقول ولكن ما رأيك في خلوتنا . قال ابنير ان لتناظر المصلحة بيننا يا سوس مأمناً من الريبة. قال يديد بل وجب دفع الأذى لذاته لا للخوف من نظيره . قالت سوسن وهل لا يزال من رأيكما بحث الزواج بيننا علماً حلية أو حرمة ، قال يديد لا بد من البحث هلموا بنا بعد نتمشي قليلاً ثم ننصرف فتمشوا ثم انصرفوا فكان يوما احب من يوم الشفاء الى العليل وقد اضناه المرض واهنأ من يوم النصر على العدو وقد عتا وتجبر

— ١١ —

كتابي اليك ايها السيد الحبر الجليل اخي شقيقي نحماد راصون بالاسكندرية راجياً منك ان تنتهز لي يومين من وقتك الثمين فتحن علي اخيك بالحضور لتري رأيك فيما وصلت اليه الحال بابنير واستر فقد اعياني امرهما ولم استطع اقناعهما فيعدلا عما هما متشبثان به من التزوج بسوسن ويديد وقد حالتهما كثيراً كما اوصيتني فلم يزيدا الا تشبثاً خلافاً لما كنت تأمله واخوك كما تعلم لين العريكة رطب اللسان حيّ الضمير قليل الصراخ علاوةً على مالي بهما من الشفقة وما لهما عندي من الحنان وقد غالبت عواطفي مغالبةً فيما اضطررت اليه من عزل يديد من مصرفي اقصاءً له وقطعاً للصلة بينهم وبيننا فقد عزّ عليّ جداً هذا العزل لما عليه هو ووالده وسوسن من العلم الصحيح المقرون بالهشاشة والتواضع اللطيف والأدب الرقيق فضلاً عما لقيته من الراحة ودقة الترتيب وحسن النظام في العمل بفضل يديد ورصانته ولكنني لم استطع ان افعل غير هذا فناشدتك الله ان تعجل بالمجيء ولا سيما ان وقع تصرفي هذا في نفس استر وابنير وقعاً سيئاً وتكاد استر تلازم سريرها من شدة التأثر وعهدي بك كثير التفكير قويّ التدبير لا تقصر يدك عن الحيلة واني لاشكرك سلفاً وبارك الله

فيك وعليك والسلام ؟ اخوك هليل

وصل الخطاب فما عتّم الرجل ان رمى بنظرة الى خزانة كتبه استلّ منها كتاباً واعدّ اهبته وانفرط الى مصر فدخل البيت فكان اول من التقى به استر فرحبت واهلت ومالت الى يده تقبلها وتناولت منه العصا والكتاب قال لها احفظيه لي عندك وسمع ابواها فجاءا على عجل فتركتهم استر ودخلت حجرتها تضع الكتاب وقد القت بنظرها اليه فقالت في نفسها فهمت غرض عمي ومقصده من المجيء وما أسرع أن رمت بكلمة الى يديد في البريد وانفرد الاخوان يتحادثان فقال له هليل لعلك وفقت الى طريقة من الطرق فتبسم ووضع عمامته وأخرج علبة العاطوس وتنشق وقبض بلحيته وقال وهل يعدم الخابط ورقا (١) فقال له هليل وهل يدعى للجلى الا اخوها (٢) قال جئتك من سبأ بنبأ بيقين (٣) . قال وانك لنقاب (٤) . قال جئتك بمؤلف وستطاع عليه استر ولا بد فقد وضعت للموضع المقصود منه علامةً فهي تلفت نظرها فتقرأ وفيه ان القرائين بقرم ليسوا يهوداً

---

(١) اي لا يعدم المنتجع عشبا اي من جد وجد

(٢) اي لا يندب للأمر العظيم الا من يقوم به ويصلح له

(٣) سبأ مدينة باليمن قيل مأرب وقيل بلقيس والنبأ الخبر يعني انه جاءه بالضالة المنشودة

(٤) اي عالم بمعضلات الامور

قال وهل صحيح ما ذهب اليه المؤلف . قال انه استدل بعشرة ادلة .قال أسمعنيها جزاك الله خيراً . قال تسمعها الليلة ان شاء الله بعد ان تنعس استر فان الكتاب عندها دفعت به اليها عامداً ليكون تحت نظرها فتقرأ

قال الراوي وكان ابنير غائباً فلما حضر قبل يدعمه وهش لقدومه وبعد تناول العشاء همست استر الى ابنير أن استأذن لتخرج معي ساعة لامر ذي بال فاستأذنا وخرجا واذا بيديد في الطريق قالت له اسمع يا يديدعمي حضر اليوم من الاسكندرية وهو حبر كبير كما تعلم ولعل مجيئه بدعوة من ابي فقد أحضر معه كتاب مسّا قريم وانت تعلم ما فيه فشددت عليك بضرورة مقابلتي فهذا هو الداعي وخشيت ان تنزعج ولم يعلم ابنير بهذا الامر الا الآن فلم يسع الوقت ان اخبره . قال يديد كأني كنت اتنبأ انهم قد يحتجون علينا بهذا المؤلف . قال ابنير اشركاني معكما في العلم فايّ شيء فيه . قالت له استر يزعم المؤلف ان القرائين بقرم هم منجاليون (١) او اتراك اي كزريون (٢) وتهودوا اي انهم لم يكونوا من بني اسرائيل وقد تباحثت انا ويديد بشأن هذا الكتاب قبل الآن وعرفت سبب وضعه وسأعلمك به فيما بعدقالت

(١) المنجاليون او المنجاليم هم مسلمون بالقوقاز
(٢) سيأتي الكلام عليهم

فقل لي الآن يا يديد اعندك ردود اخرى غير ما عرفناه فقد يجر الكلام بيني وبين عمي الى ذكر هذا الكتاب والاحتجاج به عليّ انا وابنير فاردّ عليه وافنده . قال لا شيء غير ما ذكرناه وتمنيت ان لو اتواجه به فافحمه . قالت هون عليك فما صاحبتك بقصيرة الباع وأرى ان نفترق وننصرف توقياً من ان يرانا احد ثم حرصاً على الوقت فودعوا بعضاً وانصرفوا . قال الراوى وقد انتهزها الحبر فرصة فدخل حجرة استر وفتح الكتاب وجعل يتلو على اخيه تلك الادلة ثم فتح له موضعاً آخر وجعل يقرأ له ان القرائين والمسلمين عقيدة واحدة واذا باستر فأقفل الكتاب وردّه محله وخرج هو واخوه من الحجرة سائلين اياها واين ابنير . قالت تحت ولكنها ادركت انهما كانا يقرآن الكتاب وان مجيئها قطع عليهما

- ١٢ -

جعل ابنير ويديدواستر وسوسن يتشاورون ماذا يصنعون توصلا الى زواجهم ببعض وقد تواعدوا وتقابلوا سراً لهذا الغرض فقال يديد اتأذنون لى بالكلام قبلكم ثم انتم وماتشاؤن .قالوا آذان صاغية وقلوب واعية وهكذا فلتكن الآداب استئذان ورضى وان بيننا لحباً لا يدع للتخالف مكانا ولا يعزّ به حسن التفاهم قال اننا بين عاملين عامل العشق وعامل مراعاة الواجب فلا شك اننا تعلقنا ببعض وكل منا يريد ان

يتزوج بصاحبه وعزب عن فكرنا او كاد يعزب اننا وان كنامن جذع واحد فقد تفرعنا فرعين واختلفنا وتباينا واصبحناوكأن لكل منا ديناً ولا ضرورة لان آتى على اوجه الخلاف واى الفريقين مخطيء اومصيب وانما الواجب هو ان لا يكون زواجنا على غير رضى الوالدين فهو لا بد منه حتي اذا كانت الزوجة من اقرب الاقربين فكم تكون الضرورة اذا كانت اجنبية وهاانت ترى يا ابنير ان اباك استدعى عمك يستعين به عليك وعلى اختك وقد تسلح بذلك الكتاب المملوء بالمطاعن والمثالب في حق قرائي القرم وانهم ليسوا يهوداً ولعلك قرأته اوسمعت به من اختك واسمح لي ان اقول ان دعامة هذا الكتاب ما هي الا الانتقام من قرائي القرم وفي رأسهم فركوفس وليس هذاوقت الافاضة فانا ارى ان نعالج رضى الوالدين فان والدي يا ابنير لا يقل عن ابيك اباء ومعارضة ورضاه عني يهمني جداً فهو والدي بذل وسعه في تربيتي واكرام الآباء في كل دين ومذهب فضلاً عن الآداب العامة ولذا فانا طول عمري ولا امتن لم اسمعه يا ابنير الا كل ما يطيب به خاطره وينشرح له صدره . قال ابنير وماذا تريد ان نصنع قال كان من الممكن جداً ان يكون الزواج علي يد مأذون الشرع الاسلامي اوفي دار الوكالة الفرنسية او الروسية ولكن من الحب وهواشرف الامور ان لا يدوس الانسان على عواطف الاهل والاقرباء وان لا يهين البيئة التي هي

محيطة به ولا تقل اننا تجاوزنا سن البلوغ اللازم فان كبر السن ينبغي ان يكون له بالعكس ما يناسبه على الاقل من فضل العقل وشرف الروية وحسن التدبير . قال ابنير نزوجنا أحد العلماء غير المأذونين منكم اومنا وهو زواج كما تشاء شرعي بالبركات السبع اذا لم يمكن ان يكون باحد العلماء المأذونين . قال يديد هذا مروق ايضاً من الدائرة التي يجب ان يكون بها العاقل امام امته وان رضى الوالدان . قال وماذا تريد . قال اريد ان يكون الامر شرعياً يقيناً من كل الوجوه يوافق عليه العلم والعلماء ويكون مرضياً عنه من الأمة . قال لقد طلبت اذاً شططاً وتجاوزت الحد جداً . قال تحضرني طريقة يا ابنير هي ان نعرض الامر على المستشار القضائي بوزارة الحق والعدل ونطلب منه ان يرى رأيه فلعله يفاوض بيت الدين عندنا وعندكم ويحملهما على التفاهم وقد يتفاهمان والرجل صديقي وهو كثير الأدب لطيف الاخلاق . قالت استر وسوسن تالله انها لفكرة جميلة يا يديد

قال الراوي فكتبوا الى المستشار وشرحوا له الامر لا مطولا ولا موجزا ووقعوا خطوطهم ودخل بها يديد الى المستشار مستأذنا فاستقبله بهشاشة وبشاشة وشدَّ على يده وهنأه بسلامته وهون له ما اصابه في اصابع رجله فشكر له واثنى ثم قال له لى حاجة عندك وكل ما اخشاه هو ان تعتذر لي بان لا شأن لكم بها ولكني وطيد الامل الا

تخيب وجهي وشرح له الامر وقدم له الالتماس فقرأه واطرق ثم
قال يكاد يقع ما تخشاه لولا حرمتك بنا ثم لولا ان امامي في اللحظة
عينها مسئلة تشبه مسئلتك تقريبا هي ان عالماً غير مأذون من القرائين
زوّج رجلاً منهم بسيدة من الربانين فرفعوه الى المحاكمة بتهمة انه
تداخل فيما ليس له فتزيى بزيّ العلماء الاعلام وعقد بغير اذن والتهمة
وان كانت هذه ظهارتها فبطانتها على ما اعتقد كراهة القرائين التزوج
بالربانين وقد كان بي شيء من الجمود امام هذه المسئلة لا ادرى تقريباً
ماذا اصنع بها واذا بك ومسئلتك فكأنما فتحت لي باباً هو أن اتعرف
من الفريقين ما هو موقفهما الديني امام بعض ولا سيما ان الحكومة
تريد توحيد المسائل الشرعية في الاحكام الشخصية لجميع الملل وجعلها
تحت سيطرة نظام واحد تنظر فيه محكمة عامة وهو امر يقتضي كثيراً
من الدقة وانعام النظر لما بين المذاهب وبعضها من اوجه الخلاف فارى
ان انتهزها فرصة واغتنمه نوعاً من الاسترشاد فاكتب الى الفرقتين
ببيان كل منهما ما عنده من اوجه الطعن والاعتراض في الزواج ببعض
ولا بأس به كشفاً لمستور وعلماً بمجهول فشكر له يديد شكراً جزيلا
واستأذن وانصرف وكان ابنير في انتظاره خارج الحجرة فسأله ماذا
صنعت قال خير ان شاء الله . قال قل لي ماذا اجابك المستشار . قال
قلت لك خير فلا تزدني استفهاماً فليس كل ما يقال ينقل ولا سيما في

امور كهذه خطيرة او سرية تقريباً فكن مطمئناً على كل حال وانصرف
كلاهما سبيله واذا في الغد بخطاب من المستشار الى دار شرع الربانين
بندب السيد العالم العلامة الاستاذ الشيخ حسن العدلي للوقوف على ما
بين الفرقتين من اوجه الخلاف اجمالا ومعرفة ما اذا كان الزواج بينهما
جائزاً وما علة تحريمه ان كان فقامت دار الشرع عند كل من الفرقتين
وقعدت واشتد اللغط والهياج فمن قائل وما للحكومة وشأننا في الدين
وآخر يقول نخشى والله ان يكون غرضها ادماجنا ببعض وثالث يقول
دعوكم من هذا وانظروا فيمن يجب ان يتولى عنكم البيان فاتفق الربانون
ان ينوب عنهم الحبر الاسكندرى لما له من طول الباع وسعة الاطلاع
فضلاً عما له من الشأن الخاص في المسئله فهو يهتم بها طبعا واختار
القراؤن يديد ولكنهم جعلوا له آخر كالرقيب لما قد يجوز منه من
التساهل والتهاون لما له من غرض الزواج وحل موعد قدوم المندوب
فكانت كل فرقة في انتظاره فقصد دار شرع الربانين وهناك اخبروا
القرائين وبعد جدال طويل بينهم وبين بعض اتفقوا ان يكون الاجتماع
في دار الكتب السلطانية في حجرة تختص بهم لاحتمال رجوعهم الى
شيء من المؤلفات فيكون قريباً منهم بقدر الامكان ثم منعاً من تأثير
المكان على حرية العلم اذا اجتمعوا عند احدى الفرقتين فضلا عما
لاستشعار احديهما بالوجود عندها من الغض نوعاً بكرامة الاخرى

وقـد ضربوا بينهم وبين بعض موعـداً وانصرف المندوب شاكراً مشكوراً

١٣

ذهب المندوب الى دار الكتب في الميعاد المضروب وكان الجماعة في انتظاره بالباب فاستقبلوا بعضاً بما يليق من آداب الترحاب وصعدوا الى الحجرة المعدة لهم وجلس المندوب مجلس القاضي في صدر المكان ومساعده الى يمينه وجلس الجماعة في وجهه فاراد ان يفصلهم فرقتين فيجعل القرائين وحدهم والربانين بمعزل عنهم ولكنه حار فكره ماذا يصنع بالفتيين والفتاتين انزع كلاً منهم الى فرقته وهم عصبة متفقون رأياً على حلية الزواج بينهم معارضون لمن يقول بغير ذلك ام يدعهم كما هم بجانب بعض والمقام مقام تناظر وجدل ديني وقد يغضب احدهم لدينه ومذهبه ينسى معه الحب والغرام فرأى ان يتركهم على حالهم ووكل الامر الى التقادير ولكنه نصح لهم ان يكون الجدل بالتي هي احسن وان لا يتعدوا آداب المناظرة ثم التفت لفتة وسألهم ومن الذي يتولى منكم الكلام عن الربانين قال الحبر انا . قال وعن القرائين . قال يديد انا . فقام احد الحاضرين وقال انا ايضاً مع يديد قال وما اسمك. قال اسمي عبد اللطيف قال سبحانه جل شأنه والتفت الى الحبر وسأله وهل تصرّ يا سيدي على استحرام الزواج بينكم قال الحبر يأذن لي سيدي

الاستاذ فاتكلم بقدر الحاجة راجياً ان لا يقاطعني احد قبل اتمام الكلام . قال لك ذلك وهو ما ينبغي ان يكون . قال اعلم يا سيدي حياك الله وبياك ان الجواب على سؤال سيدي الاستاذ يتفرع فرعين فرع خاص وآخر عام ولنبدأ بالخاص لانه اقرب الى علاقته بالمسئلة وان كان العام اولى ذلك ان يديد واخته وهما من يريد الزواج بهما ابنير واخته هما ليسا من قرائى مصر أو أرض القدس او الآستانة وانما هما من قرائي القرم ببلاد الروس وفي اعتقادنا ويقيننا ان قرائي القرم ليسوا يهوداً وانما هم كزريون اندسوا في اليهودية وفرق بين اليهودي القح وغيره الدخيل . قال وهل يحرم عندكم التزوج بمن يريد وقد تهود امان تهود الكزرى لا يجوز ابداً . قال يجوز التهود لكل من يريد ولا يحرم الزواج به ولا سيما اذا اخلص في تهوده الا القراء فان له شأناً خاصاً يمنع من قبوله بتاتاً وهو النوع العام الذى اشرت اليه آنفا وانما القرائي القرم عداوة بنا بنوع خاص فاجتمعت العداوة والهجنة قال وهل من ادلة على انهم كزريون . قال وكل شيء احصيناه في كتاب واخذ كتاباً مما امامه وفتح وقال أأقرأ أم الخص قال لا بل اقرأ ولكن قل لي اولاً ما اسم الكتاب ولمن هو وبأي زمان ومكان طبع وبأية لغة هو: قال اسمه مسّا قريم اى دليل القرم او نبأ القرم للعلامة افرايم دينارد من برديانسك بالقرم وطبع في سنة ١٨٧٨ بمدينة وارسو

عاصمة بولونيا قديماً وهو باللغة العبرية . قال وهل تقرأ تعريباً اولاً فاولا . قال نعم اقرأ تعريبا كانما هو عربي امامي . قال وباي وجه منه قال من الوجه الثامن والخمسين قال اقرأ وربك الاكرم فقرأ له

اولاً ان كل أمة من الامم تعرف بملامح وجهها ورمية نظرها وجميع نزعاتها بحيث انه يمكن بلحظة واحدة التمييز بين ايّ رجل وآخر من عدة عناصر فاذا جمعت بين اليهودي والتترّي او السيجاني ميزت بينهما من اول نظرة فان اليهودي من سلالة بني سام والروسي من جذع السلافيين والتتري منجالي الجنس واما السيجاني فغير معروف لنا من اي ارومة هو كذلك يمكن تمييز القراء لانه والتتري من مقر واحد وعلى ما ذهب اليه علماء التشريح أنه مما يمكن ان يميز به الانسان المخ فاذا صح ما يقولونه فلا اشك في انه لو شرح مخ القراء لوضح انه ليس من ذرية بني اسرائيل وقد اجمع كل من سألتهم من الاطباء بالقرم ان القرائين هناك ليس بينهم وبين اليهود ادنى تشابه ومن جملتهم النطاسي الشهير رأوبين فوليشار فقد اقام بضعة اشهر في سفستوبول وبحث في أمر القرائين

ثانيا ان القرمصاقيين (١) وتكاد تكون لغتهم هم والقرائون والتتر واحدة لا يختلفون عن القرائين في شيء ما على أننا اذا جمعنا مع ذلك

(١) سيأتي الكلام عليهم من هم

بين القراء والقرمصاقي وكانا بملبس واحد لامكن لنا ان نميز في الحال إن الاول تتري والاخر يهودي

ثالثاً ان كل امة من الامم تعرف بنظام حياتها وما لها من المزايا فاذا خلت احدى الامم من بعض المزايا كان ذلك البعض في الامة الاخرى واضحاً بيناً وهكذا بالعكس وقد أجمع اهل البحث أن اليهود يمتازون برسوخ القدم في علم الحساب وفي الموسيقى وما اشبه والاشكنازيين (١) بالنبوغ في علم الجبر والبريطانيين بالملاحة في عرض البحار اما القراؤن فاذا بحثنا بالنظارة المكبرة عن شيء من مزايا اليهود فيهم فلا نجد حتى ولا واحدة فليس منهم ابداً من يمتاز بعلم الحساب او بفن الموسيقى او ما اشبه مما اختص به اليهود عامة

رابعاً ان كل امة من الامم تعرف بما يؤثر عنها من سيرة علمائها واوليائها المكرمين وابطالها ولا سيما سكان آسيا فانهم لا يفتأون يلهجون بذكر سيرة سلفهم في تأريخ ايامهم وهو وان كان معظمه خياليا فلا يخلو من حقيقة يمكن ان نقف منها على شيء من تأريخهم ومن أيّ نشأة هم وماذا كانت حالهم حتى ذلك العنصر السيجاني الوضيع فانه يذكر ان أحد انبيائهم كان يصلي لآلههم انوبيم في جماعة من المؤمنين به فلما رفع النبيُّ رأسه من سجدته تنبأ عن آلهه لقومه نبوءة تكاد

(١) سيأتي الكلام عليهم

تكون من نار بقوله استمعوا الي ايها المؤمنون بي طالما كبرتكم وأعليت مقامكم وجعلت هيبتكم على جميع الامم فبما انكم قد عزبتم عني وتركتموني فانا أستر وجهي دونكم ولا أعود آخذ بايديكم انفضوا من حولي فما انتم بامتي ولا انا با لهكم اذهبوا الى حيث تشاؤن ولكن اياكم ان تنسوا الحرية والاستقلال اياكم ان تجعلوا اعناقكم نعالاً للملوك والعظماء اختاروا لكم مسكناً في الوعور وشقوق الصخور واستعينوا بدهائكم وكونوا كالحيوان الحر السائم في البرارى الى آخر ما قال في نبؤته فان كنا لم نعرف من نشأتهم شيئاً فقد تيسر لنا ان نستفيد من تلك السيرة القومية شيئاً مهماً في تأريخ ايامهم كمولاهم الذي طردهم من مسقط رأسهم من هو وطردهم لماذا وغير ذلك ولا اعجب لامة كهذه ندّت بين الامم عدة مئات من السنين لا تعرف بداية اصلها لقلة راحتها وعدم استقرارها في كل مكان فضلا عن انه لا كتاب لها و لا ايمان ولا دين وانما اعجب لمثل القرائين فانهم اوسع من تلك الامة فضاءً في تأريخهم ولا قيمة لما يزعمونه من انهم شعب الله المختار وما يعزونه لانفسهم من العلم والمعرفة وما يدعونه من التقوى والصلاح حتى يكاد يخيل اليهم انهم في نظرهم اعظم من ملائكة السماء في علاه وان نشأتهم هي من عهد الملك شلمناصر (١) وان العالم اجمع لا بد ان يعلم على مدى الايام ان

(١) اى ملك اشور اى منذ اكثر من ٢٦٠٠ سنة

لا ايمان الا ايمانهم وان اهل مكة والنازحين في اقاصي الهند الشرقية يسارعون اليهم جميعاً يوماً ما يركعون لهم ويحتمون بظل هداهم فالواقع انهم لم يساووا حتى ولا السنجانيين في معرفة تأريخ انفسهم وكل اجوبتهم على اسئلة سائليهم عن بدايتهم واصلهم لا تتفق مع بعضها بل انها جميعها متناقضة فبعضهم يقول ان مكون فرقتهم ومؤسس طريقتهم هو عنان وآخر يقول لا بل يهودا بن طباي وثالث يقول لا بل صدوق وبيتوس ورابع يتبرأ من اليهودية وانهم ليسوا الا كزريين من صلب المنجاليين وهذا فركوفس يحلم في المنام انهم قدماء من جالية الاسباط العشرة وبملء فيه يستجهل صاحب كتاب ودّ مردخاي وانه لم يتعلم وانه من بلدة صغيرة وهي كوخيزوبا وان كل ما عرفه شيء تافه من مؤلفات قليلة للقرائين والربانين وغريب ان رجلاً هذه حاله يجرأ ويتصدى لاجابة ملك السويد على استفهامه عن القرائين فيذكر له ما ذكره من الترهات والاباطيل بل ان فركوفس نفسه يروى عن شخصه انه حاول في ايام صغره ان يضع تأريخاً للقرائين وهذا قوله « وانا ذاتي دونت بعض اشياء في ايام دراستي دون التفات الى ماسطره علماؤنا الاقدمون فلما تقدمت في العلم نوعاً صغر في نظري ما دونته وان كان كله لفائدة القرائين ولكن ماذا اصنع اذا لم يكن لي ما استند اليه » فاليكم ايها القراء الكرام صاحب تأريخ القرائين انظروا واسمعوا عظمته وافتخاره

وشهادته على نفسه انه لم يدون الا ما هو في صالح القرائين لانه لم يطلع لهم الا على مؤلفين او ثلاثة وان كل ما جاء به صاحب ودّ مردخاي هراء في هراء و.اذا تكون اذاً قيمة اقوال طريؤس صاصكي وهو انما نقل عنه واعتمد عليه فضلاً عن اعتراف فركوفس نفسه ان تلك الاقوال هي ايضاً لا يعول عليها وما الذي جاء به هو وقد صعد بكبريائه وعلمه في أواخر ايامه الى السماء أأحسن صنعاً من كل الذين تقدموه كلا فمن الصواب على ما ارى ان قرائي القرم ليسوا من ظهر يهودا وكما جهلت الفرق المتوطنة بالقرم وضواحيها اصلها ومنشأها كالملاقانيين والصقابصيين والإسقاليين جهل القراؤن فانهم لو كانوا من بني اسرائيل يقيناً لوجد لهم ذكر او أثر في التاريخ الاسرائيلية كالعنانيين فما اكثرها لهم ذكرا

خامساً يشهد التتر ان القرائين يحسنون النطق باللغة التترية مثلهم فاذا تحادث القراء مع التتري فلا يحسبه الا تترياً مثله فما العلة في ان القرمصاقيين لا يحسنون النطق بها مثلهم بل كثيراً ما لا يفهم كلامهم التتريُ او القراءُ فهل لا يدل هذا دلالة صادقة ان القراء والقرمصاقي ليسا من ام واحدة واذا اضفنا الى ذلك ما ذكره فركوفس من انه لو كان قراؤ القرم والعنانيون من جذع واحد لكانوا يتكلمون العربية كما يتكلم بها سائر القرائين في بلاد المشرق فهل نخطيء اذا اعتقدنا صدق نظريتنا سلفاً من ان قرائي القرم والعنانيين وهم يقيناً من نسل

اسرائيل ليسوا من اصل واحد وعلى هذا فما هم الا من صلب الكزريين او المنجاليين

سادساً في ٤ دسمبر سنة ١٨٧٠ شرعت الحكومة في عد القرائين مع الربانيين ببلدة خرسون للتجنيد فانبرى احد كبار علماء القرائين المدعو قزاز وكتب مقالة طويلة بجريدة نوفورسيسكيا فدومستي (١) بالعددين ٢٧٦ و٢٧٧ شدد بها النكير بقوله انهم يخطؤن خطأ فاحشاً أولئك الذين يحسبون القرائين من اليهود لفكرة ان بينهم وبين بعض شيئاً من الشبه في العقائد والحال ان لا مشابهة مطلقا بينهم والأصح تمثيلهم بالكزريين او الارمن او التتر او بأية أمة اخرى حسبما يريده من يريد غير اليهود وقد صرح جهاراً ان ليس من قلبه ما كتب وان القرائين انما يتكلمون من اطراف شفاههم دون قلوبهم فما اعظمه اقراراً من حبر كبير كهذا ان ليس القراؤن من اليهود فهو خير لي من الفي شاهد

سابعاً في سنة ١٨٢٧ شرعت الحكومة في تجنيد اليهود وقد أحصى القراؤن من جملتهم وكانوا يعرفون في جميع مصالح الحكومة باسم يهود قراؤن فرأت الحكومة ان تجند منهم ايضاً بالجملة فاحتشد القراؤن بابياتوريا كالجراد وجعلوا يتشاورون بينهم ماذا يصنعون فاوفدوا من كبار علمائهم ببوفيص ويشار للسعي لدى الحكومة في عاصمة الملك

(١) جريدة روسية تظهر بموسكو اسبوعية

لاعفاء القرائين من التجنيد وبفضل الرشوة نجحوا في مسعاهم فاجتهدوا باديء بدء ان يبرهنوا انهم ليسوا من اليهود بحال من الاحوال ومن هذه اللحظة اعتبروا رسميا انهم شيء واليهود شيء آخر وصاروا يعرفون لدى الحكومة باسم قراؤن لا غير فاذا كان كبار احبار القرائين انفسهم اجهدوا قواهم وحطوا من كرامتهم بقيامهم الى عاصمة الملك ليقنعوا الحكومة ان لا نصيب ولا ارث لهم في بيت اسرائيل فلمَ لا نقرهم نحن في ذلك

ثامناً ترى في الفصل العاشر من الكتاب عدة ادلة متينة تثبت ان طريقة القرائين هي عين الشريعة الاسلامية بجميع جزئياتها وانما هم اسدلوا عليها خماراً اسرائيلياً فلا ريب انها دعمت من وقت ظهورها على قاعدة الشريعة الاسلامية وان كانوا من بني يهودا كذلك قراؤ القرم اولئك الذين هم من صلب المحمديين ولذا فهم اكثر قرباً الى طريقتهم من اخوانهم ببلاد القدس ومصر سلالة العنانيين فضلا عما تراه على وجوههم من بعد الشبه بينهم وبين بعض فهذا ايضاً دليل على انهم ليسوا من بطانة واحدة علاوة على ان ليس قراؤ مصر وحدهم يتكلمون العربية بل اخوانهم في سائر البلاد الاسلامية يتكلمون بها مثلهم في حين ان قرائي غاليسيا المهاجرين من القرم لا يزالون الى اليوم كما اثبت فركوفس نفسه يتكلمون بالقدرية

تاسعاً اثبت العلامة اليوناني خريسطفار كندرا كي وقد عني كثيراً بالبحث في امر القرائين ان اصلهم بالقرم كما قلت من التتر واستدل على ذلك بعدة براهين كذلك اثبت اصدق محبيهم فادار ليوفانوف في كتابه شفوط قلعه انهم ليسوا من بزرة اليهود ليغيظ بذلك الربانين في زعمه فهو يعلي شأن القرائين بدعواه انهم أرقى من ان يكونوا يهوداً وحاشا لي ان ابخس اجره في تجريده اياهم من اليهودية فانا اقره على ما يقول

قال الحبر هذه يا سيدي الاستاذ تسعة ادلة بينة في ان قرائي القرم ليسوا من نسل بنى اسرائيل وانهم كزريون لا محالة . قال الاستاذ فاقرأ لنا الآن الفصل العاشر المنوه به في الدليل التاسع لنرى كيف ان القرائين والمسلمين على طريقة واحدة كما يقول المصنف ففتح الحبر صفحة ٩٠ واخذ يقرأ فقام يديد وقال الا يسمح سيدي الاستاذ فاجاوب على تلك الادلة وابين العلة التى وضع من اجلها الكتاب وآتي على ما ورد بالوجه ٩٠ من ان القرائين والمسلمين واحد واتكلم عليه اولى من ضياع الوقت بالذكر والاعادة والكتاب معروف عندي وقرأته من زمن فالتفت الاستاذ الى الحبر يستطلع رأيه فلم يمانع فابتدأ يديد يتكلم قال

اعلم اعلمك الله ايها الاستاذ الجليل ان الربانين هم الذين بادؤا

القرائين بالعداء وذنبهم الوحيد مخالفتهم اياهم في بعض المسائل الشرعية مما سنبينه مفصلاً لنرى ان كانوا كفروا يقيناً ام اصابوا كبد الحقيقة ولست اريد ان ابعث تلك العداوة من مرقدها بل بالعكس اريد ان آتي على جذورها فاستأصلها استئصالاً وعلى قواعدها فادكها دكاً وعلى آثارها فامحوها محواً ذلك ببيان اوجه الخلاف بيننا وبينهم وبيان حجتنا وحجتهم وآمل ان يجردوا من انفسهم منصفاً عادلاً يخلو من الغرض فينظروا بالحسنى فيما لهم وعليهم اوعلى الاقل يكسروا من حدتهم ويربأوا بكرامتهم عن فحش القول وهجر اللسان فيمحوا من اسفارهم ما يخطونه بايديهم ويرددونه بالسنتهم ويتناقلونه خلفاً عن سلف من ان القرائين ليسوا يهوداً او ان يهوديتهم غشاوة كاذبة وان بذريتهم حرمة وانهم يشفعون الزواج بالطلاق فيقرن المتزوج وثيقة الزواج بوثيقة الطلاق وان طعامهم حرام وانهم وانهم مما انتنت ريحه بين الاوراق فكفاهم تلك الاحقاب الطويلة اسودت بطونها بالسخائم وانطوت على مقابر للاخاء وقامت عليها اهرام العداء وشخص بجانبها ابو الهول مجرداً من الحياء . قال الراوي وكان من الحاضرين بعض العامة من الفرقتين فلخطأوا الفهم واساؤا الادب الى يديد والى انقسم فأقفل الاستاذ باب الكلام وضرب موعداً آخر وقام وانصرف

- ١٤ -

مضى الاستاذ الى المستشار فسأله ماذا صنعت قال عقدنا اول مجلس واخذ حبر الربانيين اول دور له في الكلام وبدأ المدعو يديد عن القرائين يمهد للرد عليه ثم بدت جلبة من بعض العامة من الفريقين لاساءتهم فهم ما يقال وبعد ذهنهم عن الغرض وكان الوقت قد ضاق فرأيت ان انصرف وضربت لهم موعداً آخر. قال وهل ظفرت بشيء مما هم فيه مختلفون . قال ظفرت ببعض الشيء وماساظفر به على ما ارى كثير جدا يهم العلم والعلماء ومساعدى كما اشرت يدون كل شيء اولاً فأولا وأرى ان تأذن لى باوراق الشكوى التى عندك اطلع عليها واعلم بها فعسى ان تنفعنى. قال انا ايضاً فكرت في هذا الامر واعددت لك نسخة ولكنى حذفت الاسماء والالقاب مخافة ان يطلع عليها اجنبي وها هى فتناولها منه شاكراً واستأذن وانصرف ومضى الى بيته فرأى وهو يقرأ انه فى حاجة الى الاستفسار عن بعض الفاظ عبرية وردت بها وكان له صديق من القرائين يعرف انه على شيء من العلم فقصده في بيته فأهل به ورحب وسرَّ لزيارته جداً وبعد ان مهد الاستاذ لنفسه سأله ماذا ترى فى معنى كلمة حزّان فقد تخبطت فيها الاقوال والآراء وتضاربت بشأنها الفتاوى والشهادات فالبعض يقول ان الحزان هو الامام المصلي والبعض يقول انه معلم الاطفال فسأله وأين رأيت ذلك قال رأيته في محضر شكوى قدمتموها فى

حق رجل منكم عقد لاحدكم على سيدة من الربانين بغيراذن منكم وأراه المحضر . قال ان الكلمة يا سيدى من مصدر حزه بفتح الحاء وضم الزاى، ضماً متوسطاً والهاء لا تظهر والماضي منه حزه بفتح الاول والثانى والهاء لاتنطق فهى كالالف المقصورة وهو يا سيدى عين الفعل العربى حزى حزيا وتحزى وحزا حزواً والمعنى نفسه وهو العيافة العرافة الزجر التكهن التنبؤ الفراسة التنجيم الرؤيا صدق النظر واشتق منه حزان وهي في العبرية بلا ألف ولكنها تنطق كأنها بالف وهو المشرف على المسجد او المدرسة او دار الشرع والقيم على الصلاة والامام المصلي والمجود

قال وما معنى كلمة حخام قال رسمها في العبرية حاء وخاء وميم ولكنها كأنها بألف لما لها من الحركات اى الشكل من مصدر حخم بفتح الاول وتوسط ضم الثانى يقابله في العربية حكم اى صار حكيماً فخام اي حكم او حكيم والمعني واحد في اللغتين واشتهرت كلمة حخام بمعنى الحبر الرئيس الديني الفقيه

قال وما معنى كلمة طليت قال الطليت بفتح الاول وكسر الثاني مشدداً والاشكنازيون يميلونه ثوب مربع يتلفع به الامام المصلى بالناس صباحاً وبكل واحدة من زواياه الاربع جديلة من حرير بلون اسمانجوني كالسماء شعاراً للايمان بالله ووحدته ورمزاً لاوامره

و نواهيه (١) ويطرحه العروسان على رأسيهما حين العقد وقد يسمى معطفاً من مصدر طول بضم الطاء او نطل بفتح الاول وتوسط ضم الثانى والماضى نطل بمعنى حمل رفع أخذ على عاتقه وهطيل بكسر الاول وتشديد الثانى هطيل كذا او زيداً اى اخرجه نشله رفعه رمى به جعله يطل يشرف يشخص فنظيره في العربية اطل يطل وقيل له طليت لرفعه او لحمله او لاشخاصه واطلاله

قال وما معنى أديرت الياهو. قال الياهو اسم نبى قيل هو حى في السماء لا يزال ويعرف بالخضر واديرت ضرب من الثياب كالجبة من مصدر أدر بفتح الاول وضم الثانى متوسطاً بمعنى القدرة العزة القوة يضارعه في العربية قدر يقدر وقيل لها اديرت لانها تقي صاحبها واديرت الياهو اسم كتاب شرعي عندنا سماه صاحبه باسمه وعرب جزءاً منه رجل منا وسماه شعار الخضر والشعار كما تعلم يا سيدي ما يلى الجسد من الثياب لانه يلي الشعر وبمعنى العلامة وكان الخضر يلبس اديرت وكانت بمنزلة عصا موسى في المعجزات (٢) . قال الاستاذ فلذا سماه مقدم الشكوى كتاب الخضر وفي موضع آخر كتاب الشعار ولكني اعجب لماذا ينكر على النيابة مع هذا ان للكتاب

---

(١) سفر ٤ — ١٥ — ٣٧

(٢) ملوك ٢ - ٢ — ٨

المذكور تعريبياً فأقرأ هذا السؤال وهذا الجواب . سؤال ـ هل يوجد عندكم كتاب باللغة العربية او الانجليزية او الفرنسية ترجمة لكتاب ادرت الياهو ؟ جواب ـ لا . قال لا يعلم السرائر ياسيدى الا الله ولعل السبب ان للمعرب مصنفاً آخر اسمه القراؤن والربانون اشتمل على تفنيد زعم من يتوهم حرمة دخول الربانين في عقيدتنا والتزوج بهم وهو بحث مضاد للشكوى

قال فقل لي وما معنى كلمة قنيان . قال القنيان في اللغتين بمعنى الملك الشراء الكسب الاتخاذ الاختصاص من قني يقني والقنوان ايضا مصدر في العربية من قنا يقنو وهو في شرعنا كناية عما يعرف عندكم بكتب الكتاب فانه بعقد الرجل على المرأة وما يعطيه اليها من المهر او الخاتم الذهب على الاقل وقد اضطرد به العرف اضطراداً لا محيص منه يقنيها لنفسه ويملك عصمتها

قال وهل الحخام عندكم كما يقول من تولى الشكوى ركن من اركان العقد كما هو جوابه على سؤال نائب المحكمة وهو « وجود الحخام عندنا شرط انعقاد » وهل لكم اليوم حخام وماذا تكون قيمة عقودكم اذا لم يكن لكم وما هو وجه الفرق بينكم وبين اخوانكم الربانين في عدم توقف عقودهم على الحخام كما جاء بكتاب المقارنات والمقابلات بالمادة ٣٩٣ .قال اركان العقد عندنا ثلاثة الاول المهر وهو

معجل ومؤجل وهما لا بدّ منهما وانما جاز ان يكون المعجل اقل ما يمكن ولا اقل عرفاً من الخاتم الذهب وبه يملك الرجل المرأة كما قدمت وقد رجعنا في المهر الى قوله في الكتاب « يمهرنها له زوجة » (١) فعرفنا به المعجل والى قوله « تخرج مجاناً بلامال» (٢) فعرفنا به المؤجل اما اخواننا الربانون فلا مهر عندهم بصورته هذه وانما هم قاسوا المرأة بالسلعة فرجعوا الى قوله « دونك ثمن الحقل خذ مني » (٣) قالوا فوجب ان يكون أخذ المرأة كذلك لا بلا مال . والركن الثاني الكتاب اى الوثيقة فلا يتم العقد شفوياً وان دخل الرجل بالمرأة وقد اخذناه قياساً على الطلاق فهو بوثيقة ولا بد(٤) ولكن فقهاء اخواننا الربانين اجازوه ايضاً بصورتين أخريين هما العوض او الدخول بالمرأة بشرط الاشهاد فى الصورتين وان اصطلحوا فيما بعد على الاستيثاق كما هو النص ٥٦ من كتاب العلامة حاى نائب دار شرعهم في مصر .والركن الثالث البيئة وهي في العبرية بعد الهمزة كأنها بألف والتاء هاء لا تظهر اى هكذا بيآه ولكنها اذا اضيفت انقلبت الهاء تاء وهي في العربية المنزل واسم الفعل من أبأته او بوأته والزواج او الوطء وفي العبرية المدخل واسم الفعل من باء يبوء والوطء استعارة من اصل المعنى فهو القرب الدنو الدخول وبيئة الشمس غروبها والمعنى

(١) سفر ٢ — ٢٢ — ١٥
(٢) سفر ٢ — ٢١ — ١١
(٣) سفر ١ — ٢٣ — ١٣
(٤) سفر ٥ — ٢٤ — ١

المتفق عليه عندنا كناية عن الرضاء اى رضاء المرأة فتعمل بكتب الكتاب وتدعن للرجل وتتبعه وتدخل تحت كنفه واذا كانت قاصراً فتبرم العقد لا تنقضه ويتم هذا الركن شرعاً بالعلانية من عشرة رجال على الاقل اقتداء بالسلف (١) فتقرأ الوثيقة ويبارك للعروسين وهو ركن كمالي لا يضر بالعقد اذا لم يتمم ولكن اخذ الرجل المرأة بغير هذه العلانية بصورتها هذه مكروه معيب لمخالفته السنة والاجماع ولا يتوقف انعقاد العقد شرعاً على الحخام اى ذلك الحبر المعروف بل يجوز ان يتولاه غيره ممن يعرفون العبرية ذوي اللياقة والكفاءة ولا فرق في ذلك بيننا وبين اخواننا الربانين فهو الاصل والا كان ما يعقد على غير يد الحبر العام باطلاً شرعاً وليس لنا في هذين اليومين حبر عام وكثيراً ما عقدنا كما انه كثيرا ما يعقد اخواننا الربانون في كثير من البلدان على غير يد الحبر أو بعيداً عن دار الشرع ولكنه لا يمكن الاستغناء ابداً عن فقيه عام ينوب مناب الشرع في جميع الامور ويكون عليه المعول

قال وما قولك في الشهود كم ينبغي ان يكونوا فقد اختلفت الاقوال كذلك في كميتهم كما ترى في محضر الشكوى فالنائب عنكم في الشكوى هو وموثق العقد يقولان ان العدد اللازم هو ثلاثة لا اقل والزوج

(١) روت او راعوث ٤ — ٢

يقول خمسة ثم هل يجب ان يكون من الثلاثة كما يقول المشتكي واحد من سبط الكهنة وآخر من سبط اللاويين واذا لم يكن من هذين السبطين احد فهل لا تجوز الشهادة من غيرهما من الحاضرين . قال وردت الآيات بنصاب الشهود فقالت « بشاهدين او ثلاثة (١) » فذهب البعض ان قوله او ثلاثة معناه انه اذا تعذر سماع احد الاثنين قام مقامه بالنقل عنه اثنان فهذا معنى او ثلاثة وذهب البعض ان المعنى هو انه اذا سقطت شهادة احد الثلاثة اجتزيء بالاثنين وذهب البعض انه اذا اختلف الاثنان رجح بينهما بثالث وذهب الربانون ان قوله او ثلاثة الغرض منه تنزيل الاكثرية منزلة القلة في تناول سقوط شهادة احد الاثنين شهادة الآخر فكما تسقط شهادة احدهما بسقوط شهادة الآخر تسقط شهادة الاثنين بالواحد وهكذا وان بلغوا المئة فسقوط البعض ، سقط للكل ومحل هذا البحث في كمية الشهود وقيمة شهادتهم هو القصاص شرعاً وعندي ان قوله او ثلاثة مقصود به زيادة الحيطة في الامر فالثلاثة اضمن من الاثنين والاربعة اضمن من الثلاثة وهكذا فقول موثق العقد وهو غير جاهل بالشرع ان يكون الشهود ثلاثة لا اقل قول مبنى على الاخذ بالافضل والا فان الاثنين يجزيان واما القول بان يكون واحد كاهناً وآخر لاوياً فليس بواجب وانما

(١) سفره — ٧١ — ٦ و ١٩ — ١٥

قد يكون مندوباً . قال كأنك كنت مستعداً للاجابة على اسئلتي
قال هو كذلك يقيناً فقد سبق ان سألني عنها النائب واجبته عليها
قال فأنا اشكر لك شكراً جزيلاً واستأذن وانصرف

— ١٥ —

جاء دور الموعد الثاني بدار الكتب فزاد عدد الحاضرين وكان ابنير وسوسن ويديد واستتر في عزلة وحدهم يتهامسون ويتسارون وكان الحبر وبعض العامة من الفريقين ينظرون اليهم شذراً واقبل الاستاذ فجلس وجلسوا ووقف يديد مستأذناً للكلام فأذن له فبدأ يقول ان المصنف الذي تسلح به الحبر الجليل انما وضعه صاحبه لا لحقيقة يدونها ولا لعلم أو أدب يلفت النظر ولا لغرض شريف تذكره له الايام وانما هو بالعكس وضعه عمداً للشتم والسب والهجو والفحش والقذف والبذاءة والتطاول والبهتان والافتراء علي قرائي القرم بنوع خاص انتقاماً وتشفياً منهم وايلاماً لهم في روح احد علمائهم العظماء ابراهيم بن شموئيل فركوفس وهو في جوار الله فقد جاءه القدر المحتوم في منتصف عام ١٨٦٤ والمصنف يضع كتابه بعد ذلك باربع سنوات وسبب هذا الانتقام بل هذا الاعتداء والافتراء ان قرائي القرم كان لهم هناك ما لم يكن لاخوانهم الربانين من الحقوق والامتيازات فكانوا مقربين من اهل الدولة والقياصرة منذ عام

١٨٦٣ وكانوا معفوين حتى من الجندية رحمة بهم ومراعاةً لقلتهم وكان السبب في حظوتهم هذه هو فركوفس بما اتاه من العناية والاهتمام بأمر قومه فحنق عليه وعليهم الربانون هناك ولا سيما لكتابه الذي نظمه فيهم شعراً في عام ١٨٣٨ وهو المعروف بمسًا ومريبا اى التجربة والخصام ببيان ما بين الفرقتين من الفروق في الدين ولم يستطيعوا ان يقوموا في وجهه وهو حيٌ بل انتظروا عليه حتى يقضي نحبه فلما اصبح في جوار ربه عمدوا الى نبش قبره بما طعنوا به عليه وعلى قومه فصنف فيه الحخام افرايم دينارد ذلك المصنف دليل القرم وقال ما شاء ان يقول مما فاضت به روح البغض والانتقام فطفحت بما يخجل العلم والادب والعلماء من ذكره ومن جملته تشبيهه الرجل وهو ميت بالمرأة العاهرة (١) فلا سامحه الله انتقاماً يسيء الى حرمة الأدب ويشرك الكثيرين من أخدان المؤلف في الاساءة بتقريظهم الكتاب والثناء عليه واذا جاز لهم ان يغضبوا على القرائين لايثارهم أنفسهم وانفرادهم بالتقرب الى الدولة استغاثة مما كان واقعاً بعامة اليهود من الاضطهادات فانما الذنب على تلك الاضطهادات وعلى ما قد كان يدعو اليها من تصرفاتهم ان كان هناك داع ثم الذنب كل الذنب على الربانين انفسهم بقطعهم العلاقة بهم ابتداء بتحريمهم طعامهم

(١) وجه ٢٠

وشرابهم ورمي ذريتهم بالحرمة واستحرام قبول من يريد ان ينضم منهم اليهم وعدم جواز بيعهم لهم اسفار التوراة الا ما كان به عيب او لحن ومنع الختان لهم يوم السبت وقولهم ان لا زوجية لهم فهم كالمتسافدين وتجريدهم اياهم من اهلية الشهادة واستحرام القراءة فيما ينسخونه من الاسفار الى آخر ما ملؤا به بطون اوراقهم من السخائم والاحقاد مما يأنف ان يشرق عليه نور عقل من العقول ولذا فانا يا سيدي الاستاذ احارب تلك العداوة قدر الامكان واحمد الله ان تغيرت تلك الدولة وتبدلت بأخرى فتساوت الحقوق فلم يبق من قراء ممتاز ولا رباني مهضوم على ان من القرائين في مصر من كان ساخطاً على تلك الدولة سخطاً مع ما كان لهم هناك من الحظوة والزلفى فأنحى عليها انحاء في ديوان شعره (١) ايام حربها مع اليابان الى ان قال

وحقك ما للروس عندي سخيمة
ولا ارتكبت يوماً على فتى وزرا
ولكنني اهوى الشجاعة حقها
سداد عواناً كانت الحرب ام بكرا

قال الراوى واذا برجل يدخل مسرعاً الى يديد يقول له ادرك

(١) ديوان مرادوجه ٤٢

والدك فهو في حالة النزع والاحتضار فدمعت عيناه وأجهشت اختـه وركبا اليه ولم يرد ابنير واستر أن يتركاهما فتبعاهما ودخلوا عليه واذا بالطبيب يتسمع دقات قلبه ففتح الرجل عينيه فقال يديد قال لبَّيك ياوالدى قال سوسن قالت روحي يا ابى ومالت اليه وقبلته فدمعت عيناه على خده فقبلته ثانية وقالت له لاتخف يا ابي وخرج الطبيب فتبعوه وبقيت ابنته فقال لهم قد لا تكمل له اربع وعشرون ساعة فالقلب في نهاية حالاته وأمر لهم مع ذلك بشيء من المنعشات وانصرف ودخلوا فنظر الى ابنير واستر وناداهما باسميهما فقبلاه ومالبث الخادم ان عاد بالدواء فناولوه منه فلم يلبث ان بدا عليه شيء من الانتعاش يقيناً فنظر الى يديد نظرة ادرك منها الباقون انه يريد ايداعه شيئاً مما في نفسه من الكلام فخرجوا. قال له اسمع يا يديد لا يغرك انتعاشي فوالدك من المودعين ولا اصدق من شعور قلب الانسان نفسه اوصيك يا يديد ان لا تكون مركبة النعش باكثر من جوادين فلست اميل الى المظاهر الكاذبة وما والدك بالثقيل على الاثنين واياك ان يدخل مشهدى ذلك البساط المعروف ببساط الرحمة فما هو بمستنزلها ولا هو بحابسها ان لم يكن قاتل الله التقليد وما اسرعنا اليه سبقنا فيه الربانون واقتفينا أثرهم لست اطيقه تكليفاً يتجشمه اولئك الذين يستحيون فيحملونه بينهم ويمشون به عرضة للجانبين مثقلين بتلك

الاوشحة السوداء كذلك لست ارضى عن تلك الرياحين الكاذبة ناشدتك الله اوصيك يا يديد ان لا يحال بيني وبين التراب فهو الاصل واليه المعاد (١) وما تنعمت في الحياة فاتنعم في الممات نعم اننا لا ندفن بالاران (٢) وان كنا كالربانين لانستحرم الدفن به(٣) ولكن هي وصيتي اليك

هنيئاً لجسمي اذا ما استقر   وعاد لعنصره في العفر

اوصيك يا يديد ان لاتقبل تشييعاً ولا تعزية من عدوّ لي لاتقبل الا من محب فهي ساعة الفصل بين الدارين أريد ان لا يشوبها الا الصدق والاخلاص وسيّان عندي أكان مشهدي حافلا أم قصر على النعش وحامليه اوصيك يا يديد ان لا ترسل عليَّ لحيتك فانما التأبل بالروح لا بالذات وما يطيقه اكثر ابناء اليوم الا تكلفاً . قال يديد وسامحني يا أبي . قال غفر الله لك ولي ودعا سوسن فجاءت فنظر اليها فبكت قال خذيني الى صدرك فاخذته وما لبث ان صعد السرّ الى الآله فغمضت عينيه ومدّدته وغطت وجهه ثم غسل وكفن وصلى عليه ووري التراب وبكوه وكل من عليها فان

---

(١) سفر ١ — ٣ — ١٩

(٢) اران ككتاب تابوت الميت وفي العبرية أرون بفتح الالف وتوسط ضم الراء

(٣) اديرت الياهو وجه ١٧٢ الصفحة اليمنى الجدول الايسر

— ١٦ —

ذهب الاستاذ الى يديد يعزيه وكان من المشيعين فعدها له منّة وشكره شكراً جزيلا وكان بود الاستاذ ان يستعلم منه عن بعض اشياء فلم ير المقام مناسباً فقام وانصرف وتذكر صديقه الذي كان قصده ودله على اسئلته فمضى اليه وقال اما اسئلتي اليوم فخارجة عن الشكوى فلم يسألك النائب عنها طبعا فهل أنت مستعد لها . قال هات والله المعين

قال ما هي الكلمات التي قرأها يديد على أبيه قبل الخروج به . قال شهادة التوحيد(١)

قال وماهي الجملة التى رفع بها احدكم صوته وقت وقوف المشهد وتوديع النعش. قال «اتق الله واحفظ وصاياه فهذا هو الانسان كله»(٢)

قال وهل تسمح فتخبرني كيف يكون تجهيزكم الميت. قال تغمض عيناه وتشد لحياه وتمد اعضاؤه ويغسل ويكفن ويعصب رأسه وعيناه وفمه وتقطن مخارقه ويسرع في جهازه ويحمل على الاكتاف ان كانت المقبرة قريبة

قال وكيف يدفن . قال يفحت له بقدر قامة الرجل ثم يفتح له لحد في نهاية القبر بقدر طوله باحد الجانبين ويمدد به ويصلى عليه وتسد

---

(١) سفر ٥ — ٦ — ٤

(٢) الجامعة لسليمان الحكيم في نهاية آخر فصولها

فتحة اللحد بالحجارة تركب عليه وتؤطم [٣] خصاصها بالحصي وتطان ثم يهال عليه التراب ويقام عليه نصب يكتب به اسمه ويوم الوفاة

قال وبماذا تكفنونه . قال بالكتان او غيره من الثياب القطنيـة البيضاء وهي عن الحرير ونحوه حباً في التواضع ومواساةً للفقير

قال وهل تتأبلون اى تحدون وعلى من .قال لا حداد على من لم يتجاوز الثلاث سنين ومحله شرعاً الأب والام والاخ والابن والابنة والزوجة وقد يكون ايضاً للابعد من هؤلاء كالاحفاد والحم والحماة واذا كانت الزوجة محرماً فلا حداد بينهما

قال ومن أيّ وقت يبتـديء التأبل . قال من يوم الدفن وقال البعض من يوم الوفاة ولـكنه ضعيف واذا جهلت الوفـاة فمن يوم العلم . قال وكم زمن التأبل. قال شرعاً سبعة ايام والمندوب ثلاثون وفي حق الوالدين سنة واذا مضي الزمن لجهـل الوفاة فلا يعتـدّ به بل يحسب من وقت العلم ويكتفي الربانون بيوم واحد او ساعة واحدة قال وكيف يكون التأبل. قال يكون بالتقشف فيمتنع من حلق الذقن وقص الشعر والاستحمام ولبس الثياب الفـاخرة والتزين والتحلي والتعطر ونوم السرير والاكل على غير الارض والغشيـان والزواج وان تعقف وان يلازم البيت ويترك العمل ولا يحيّي او لا يرد التحية

(٣) أطم اى سدّ اغلق عبرية وعربية

الا ايماءً مدة الاسبوع وربّ حزن ولا تأبل وتأبل ولا حزن فلا يعلم بالقلوب الا الله . قال ولـكني رأيت المتأبل عند الربانين يشق له الحبر قميصه . قال نعم اقتداء بيعقوب عليه السلام فقد شق جيبه حين نعي اليه يوسف اما عندنا فلا وان قال بذلك بعض علمائنا وقد اختلف الربانون اين يكون الشق ولكن المتفق عليه ان يكون جهة القلب في حـق الوالدين . قال اتعبتك . قال لا تعب في العلم فشكر له جـداً واستأذن وانصرف

—١٧—

لم يكن يديد ينظر الى مال أبيه ولا يعتـدّ به وكان باراً به وفياً محباً له عزيز النفس لا يلذ له الخبز الا من عرق جبينـه ولذا فهو جدّ وكدّ واشتغل بالتجارة لنفسه ايام وجوده عند هليل باذنه وعلمه وما زال يشتغل بها بعد انفصاله منه حتى أثرى بعض الاثراء فـكان ما ربحه بتعبه أفضل مما ورثه من ابيه وقد كان رحمه الله عصامياً كون نفسه من حيث لا شيء وتعلم لا على استاذ ودرس لا في مدرسة وكانت له كتب قيمة من وضعه فاكرمها يديد وجعلها له أثراً مباركا فـكان بره به ميتاً اكثر منه حيا وقد كانوا اتخذوا لهم مسكنا وتركوا النزل فرأى يديد ان ينتقل الى البلد ليكون على مقربة من محل تجارته وليزداد تفرغه وتمـكنه ولم يتركه ابنيز تقريباً مدة الثلاثين يوما كما ان

استر لم تنقطع عن التردد ولم يفسد الحب والهوى واجب اكرام الوالد وهو في قبره بل ما زال يديد محتشماً حتي ختم الحداد بعد تسعة اشهر ولكنه كان يوالى الحضور بدار الكتب اتماماً لما اخذه علي عاتقه من الانتصار للحق بين الفريقين وازالة الجفاء بينهما بقدر الامكان والوصول الى الاقناع بحلية زواجه باستر على عقيدته وقد كانت رضيت ان تتقرأ كما رضى اخوها ولكنه اقنعهما بضرورة الانتظار حتى ينتهي الجدال علناً فربما اقتنع الوالد فيأذن فيكون الامر برضاه لا ضد ارادته . وكان الاستاذ قد ضرب لهم موعداً وهو الموعد الثالث فحضروا جميعاً وبدأ يديد يتكلم فقال

قدم لنا السيد الحبر في اول اجتماع تسعة ادلة على ان قرائي القرم كزريون وليسوا من بني اسرائيل وقد اعتمد في ذلك كما رأينا على كتاب دليل القرم للحخام افرايم دينارد من صفحة ٥٨ الى ٦٣ ووعدنا بالرد على تلك الادلة كما وعدنا ان ناتي على بيان ما اورده المؤلف بالوجه ٩٠ الى ٩٣ من ان القرائين والمسلمين واحد وبدأنا فمهدنا اجمالاً ببيان علة وضع الكتاب وانه لمحض الكراهة والبغض وبقصد الانتقام الشخصي من قرائي القرم بنوع خاص فلاجل أن يتأكد الاستاذ ذلك هو والسامعون نبدأ بالكلام على الاوجه الواردة بصفحة ٩٠ وما بعد لنرى ان كانت مما تشين القرائين كما يزعم المؤلف

وانصاره أم بالعكس تزينهم وهل هي الطريقه المثلى الصحيحة ام هي خارجة عن الشرع ومخالفة له وبعد ذلك يمكن لنا ان نحكم على المؤلف وكتابه وعلى المقرظين له والمعجبين به ان كان الغرض شريفاً منزها ام هو محض افتراء بدافع البغض والعداء وبذلك يمكن لنا ايضاً أن نفهم في الوقت نفسه قيمة ما اراد ان يشيد به المؤلف دعواه الكزرية على قرائي القرم ومحاولته ابتلاع اصلهم ونسبهم

قال المؤلف ان القرائين من وقت نشأتهم واعراض كبيرهم عنان عن الشرع الموسوى وميله الى الشرع الاسلامى غرسوا مذهبهم وطريقتهم على جدول شريعة الاسلام فلما توالى الزمن وازدادوا بهم تقرباً رياء ونفاقاً اقتبسوا منهم كثيراً من العقائد الى ان لم يبق لهم في آخر الأمر من التوراة الا ظلها وبلغ ما اقتدوا فيه بالمسلمين نحو التسعين في المئة فمن ذلك تشددهم في المحارم اكثر من التوراة وانما فعلوا ذلك تشبثاً بالدين الاسلامي فحرموا مثلهم بنات الاخت وبنات الأخ والحال ان تحريمهن ورد في التوراة نفسها بدليل تحريمها العمة والخالة[١] وقياسهما على العم والخال بالنسبة الى الاناث ومساواتهن بالرجال حرمة فكما حرمت على الرجل عمته وخالته حرم على المرأة عمها وخالها والقياس من اركان الدين وهو قياس مساوٍ فالعمة

(١) سفر ٣ — فصل ١٨ — ١٣ و ١٤

والخالة بالنسبة الى الرجل كالعم والخال بالنسبة الى المرأة والا فما معنى التمايز بين النوعين والامر واحد والربانون انفسهم لم يستطيعوا ان يقفوا عند حد ما نصت عليه التوراة من المحارم بل تعدوه الى غيره مما هو غير مذكور وان نسبوه الى التواتر دون القياس فحرموا أم الام وان علت . وام ابى الام . وام الاب وان علت . وام ابي الاب وامرأة ابي الأب وان علت . وامرأة ابي الام . وامرأة اخي الام لاب او لأم . وامرأة اخي الاب لام . وكنة الابن وان سفلت . وكنة الابنة . وابنة ابنة الابن . وابنة ابن الابن . وابنة الابنة . وابنة ابن الابنة . وابنة ابن ابن الزوجة . وابنة ابنة ابنة ابنتها . وام ام ابي الزوجة. وام ام ام الزوجة . وام ابي ام الزوجة . وام ابي ابى الزوجة فهذه عشرون بعضها مرسل وبعضها محدود كما ترى ولا أثر لها في نص التوراة فلماذا هم حرموها وكيف مع تحريمهم اياها ومناطه القياس في الحقيقة وان انكروه يعيرون به القرائين كما هي الحاشية الثانية بذيل صفحة ٩٠ فضلاً عن الابنة فان تحريمها بقياس الاولى ظاهر جداً فانما نصت التوراة على ابنة الابنة فالابنة نفسها من باب اولى فهل خالف القراؤن التوراة في تحريمهم بنات الاخت وبنات الاخ بل من هو المخالف من الفريقين والقياس شاهد عدل وهل هذا التحريم خاص بشرع المسلمين وحدهم اليس هو عاماً في جميع شرائع اهل الارض

والسماء بل اليس بعض هذه الشرائع مشدداً اكثر مما عليه اليهود عامة كبنات الخئولة والعمومة وكيف يعدون تحريم القرائين بنات الاخت وبنات الاخ بدعةً من وقت عنان وهو انما ظهر منذ الف ومائتي سنة تقريباً في حين ان الخلاف والانقسام بين الفريقين كان حاصلاً قبله بكثير اى قبل التأريخ المسيحي كما هو قول الكثيرين من علماء الربانين انفسهم مثل يهودا اللاوي واسحق ابرينال وصموئيل درآن وبنسكر وابراهيم زكاي الفلكى او على الاقل اذا تساهلنا من وقت كتابة التلمود وظهوره اى منذ ١٧٢٠ سنة الى اليوم ثم ماذا يقولون في ان بعض اهل الورع والتقوى منهم مثل يهودا الحسيد رضي الله عنه اوصى مع ذلك ونهى عن بنات الاخت وبنات الاخ كما هو ثابت ذلك في كتاب الحسيديم اى الصلحاء منذ ٧٠٠ سنة تقريباً

والشرع لا تقليد فيه فما هو بزيٍّ من الازياء وانما هو بحث علميٌّ وله اركان وهي النص والقياس والاجماع مع التفقه والتعقل فاذا اتفق تحريم بنات الاخت وبنات الاخ في شرع كل من القرائين والمسلمين فليس بدليل على التقليد ولا سيما اذا وجد من خالف من المسلمين وهم بعض الخوارج فاستحلوا بنات بنى الاخوة وبنات بني الاخوات (١) فهو خلاف وان زال لا يتفق من التقليد

(١) الملل والنحل جزء ٢ وجه ١١٤

قال المؤلف ان القرائين ايضاً كالمسلمين يخلعون نعالهم عند الدخول الى المسجد ويركعون في صلاتهم ويسجدون ويشترطون الطهارة من الجنابة وغيرها وانهم لا يستهينون في صلاتهم بملابسهم بل يعتنون بها وانكر منهم تعييبهم اياه لدخوله عليهم مرة في المسجد وهم يصلون وليس عليه سترته مع ان الركوع والسجود والجثو وردفي التوراة قبل القرآن في كثير من المواضع منها قوله «هلمّ نسجد ونركع ونجثو امام الرب خالقنا(١)» و«خروا الى وجوههم(٢)» واذا كان الناس يدخلون على الملوك والقياصرة والسلاطين وهم سجود او زاحفون على بطونهم فملك الملوك وسلطان السلاطين احق بذلك واولى ولا مشاحة في ان المكان مطهر مقدس فهو بيت الله بيت العبادة بيت السجود والركوع بيت الصلاة وطلب الرحمة والغفران فلا بدع اذا فرش بالابسطة او نحوها وخلعت النعال قبل الدخول واغتسل الجنب من حدثه او جنابته والا فكيف يتأتى تأدية الصلاة بصورتها هذه وهي صورة واجبة شرعاً ونقلاً وعقلاً او كيف يقابل الله الانسان وهو بحدثه لم يزل او بجنابة قيامه عن المرأة فضلاً عن قول الله لموسى «اخلع نعليك من رجليك فان المقام الذي انت عامد به أدمة قدس

(١) مزمور ٩٥ — ٦

(٢) سفر ٣ — ٩ - ٢٤

هو (١)» وقوله «فلتكن محلتك مقدسة لئلا يرى فيك نجاسة فيرجع عنك (٢)» واذا كان عدم الاكتراث بالزي والملبس في مقابلة الامراء والحكام والعظماء غير لائق ففي وجه الله من باب أولى وعلى ما اعتقد كان الربانون كالقرائين في سجودهم وركوعهم وفرش كنائسهم بالبسط الى ان غلبت المدنية فحالت بينهم وبين ذلك ولا يزال للاصل أثر عندهم في بعض الكنائس يوم عيد الاستغفار

قال المؤلف ان القرائين كالمسلمين ايضاً في اهتمامهم وعنايتهم بعلم النحو وعدهم اياه ضمن العقائد الدينية وانه السادس في ترتيبها واستدل على ذلك بكتاب نور الهلال (٣) قلت وفات عليه ان يستدل ايضاً بكتاب شعار الخضر (٤) فانه وارد به كذلك وليسمح لي المؤلف ان اشرح له هذه العقيدة وان كان غائباً فهي وجوب معرفة لغة التوراة اى لغتها العبرية والتمكن منها ومعرفة العلوم الموصلة الى فهمها من نحو وصرف وبيان ومعان ومنطق واصول فضلاً عن فن التجويد فهل الاشتغال بهذه العلوم كفر او هل هي خارجة عن الشرع ومضادة له

(١) سفر ٢—٣— ٥ «فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى»

(٢) سفر ٥— ٢٣ -- ١٥

(٣) أور هلبنله

(٤) اديرت الياهو وجه ٨١

اليست هي الدين كله أبلغ من كراهة المؤلف للقرائين ان ينقلب زينهم في عينه شيئاً فيذمهم بما ينبغي ان يمدحوا به يا رعى الله اولئك العلماء الذين هم من الربانيين انفسهم وهم بنسكر وجرتس وياست وفيرست بشهادتهم للقرائن بالسبق والنبوغ في هذه العلوم والفلسفة والشعر بتفاعيله وذكرهم لهم ذلك في مؤلفاتهم مدحا وثناء

قال المؤلف ان القرائين تبحروا كالتتر في علم الفلك وكثرت مؤلفاتهم فيه ومالوا مثلهم الى اشعار الاقدمين واستظهروها على قلوبهم ولم يقصد المؤلف من ذكر ذلك لهم سوى انهم الى التتر اقرب منهم الى اليهود ولم يدر انه بذكره لهم هذه العلوم وهذه الرياضة مدحهم من حيث اراد الذم

قال المؤلف ان عنان كبير القرائين حرم المباشرة يوم السبت قال فهم كالسامرة يتعففون عنها قال ولعل الشرع الاسلامي يستحرمها يوم الجمعة فحذا حذوه عنان في السبت والحال ان عنان لم يبتكر شيئا من عنده وانما مناط الشرع كتابه اى التوراة وهي عمدة اليهود عامة فذهب الربانون الى حلية المباشرة بل الى وجوبها والتفاؤل بها وذهب القراؤن الى استحرامها بتاتا والخلاف والانقسام بينهم في الرأي قبل عنان بزمن مديد كما مر بنا وحجة القرائين النهى عن العمل في السبت

(١) اشعيا ٥٨ – ١٣

والامر بتنزيهه لله فعلاً وتلفظاً فقد جاء بالسفر الثاني ٢٠ — ٨ قوله « اذكر يوم السبت لتقديسه » وبالسفر الخامس ٥ — ١٢ « احفظ يوم السبت لتقديسه » وباشعيا ٥٨ ـ ١٣ « ان رددت عن السبت رجلك عن عمل مسرتك يوم قدسي ودعوت السبت لذة وقدس الرب مكرماً واكرمته عن عمل طرقك وعن ايجاد مسرتك والتكلم فانك حينئذ تتلذذ بالرب » قال الاستاذ وما حجة اخوانكم . قال يديد كفى بياني حجة القرائين في الاستعفاف فرددت بذلك على المؤلف وانتقاده اياهم . قال الاستاذ ولكن التخطئة والتصويب والاقناع والاقتناع او التفاهم المنتج انما يكون بمقارنة الحجة بالحجة والتكلم عليهما معا لا الاقتصار على احديهما دون الاخرى . قال نخشى ان يسيئوا الظن بمقصدى . قال ليس على التفاهم العلمى حرج وانت انما تتكلم بكل ادب وظاهر جداً ان مقصدك العتاب الودي وازالة اثر الجفاء ولا حياء في الدين . قال حجتهم يا مولاي اقتضابهم من عبارة اشعيا قوله ودعوت السبت لذة واختزالهم اول حرف من كل كلمة من هذه الكلمات وهى بنو اسرائيل السبت[1] وهي بالعبرية اربع والرابعة هي الف وتاء وهي اداة المفعول قبل كلمة السبت فاختزلوا الباء من كلمة بنو والياء من كلمة اسرائيل وهي بالعبرية يسرئيل والالف

(١) سفر ٢ — ٣١ ـ ١٦

من كلمة اداة المفعول والهاء من السبت فهي اداة التعريف كأل في العربية فيكون ما اختزلوه ب ي اه بيته ومن معانيها الوطء في اللغتين فاستفادوه ايضاً من هذا التخريج والاختزال ولا حاجة الى الرد على ذلك وانما ارد على المؤلف وهو ما لا مندوحة عنه فاقول انه لم يقصد بوجهه هذا سوى تشبيهه القرائين بالسامرة ومحاولته تشبيههم ايضاً بالمسلمين وكان الاليق به ان يتحقق اولا ان كان يوم الجمعة عندهم كالسبت عند القرائين تعففا لا ان يرمي بنفسه في مجاهل الحدس والتخمين مما لا يليق بالعلماء المؤلفين وكفى ان انتقاده هو على التعفف والتنزه لله عز وعلا

وقال المؤلف ان القرائين كأهل السنة ينسبون الامور كلها الى القضاء والقدر وينفون الارادة عن العبد قبل الفعل وبعده ولذا فهم اذا اراد احدهم طلاق امرأته حالوا بينه وبين مراده بل يحرمونه عليه تحريما ولا يجيبونه اليه ابداً وان اعطى لهم زنة الارض ذهبا اعتمادا منهم على ان المرأة مقدرة له من السماء فلا يجوز التفريق بينهما وفي موضع آخر قال انهم كالمعتزلة(١) وأطم الكلام فلم يفصح فسنده المحشي بقوله اى كالمجبرة (٢) يسندون الافعال كلها الى الله وحده

(١) المعتزلة هم الغلاة في نفي الصفات الالهية ضد المشبهة — (٢) المجبرة هم الغلاة في نفي استطاعة العبد قبل الفعل و بعده ومعه ونفي الاختيار ضد القدرية

وينفون الخيار عن العبد قال فهم اذا رأوا أحدهم يغرق تركوه ولا ينجونه تخشعاً للقضاء والقدر . وفي موضع ثالث قال انهم في انكارهم التلمود ومكابرتهم الربانيين فيه كأصحاب عليّ في انكارهم السنة ومكابرتهم لابي بكر . وفي موضع رابع اى بالصفحة ٩٩ قال انهم يطلقون المرأة رغماً عن زوجها وحتى بلا علمه وعلق عليه المحشي بقوله اى انهم كالمسلمين يطلقون لغير ما سبب

فهذه اربعة انتقادات في اربعة مواضع ضممناها الى بعض للتكلم عليها معا لعلاقتها ببعضها وغاية المؤلف منها كسائر انتقاداته ان القرائين والمسلمين نمط واحد ولا اقول كما قال على فركوفس رجع الى قيئه (١) وانما اقول انه نسي نفسه فظاهر جداً للاعمى قبل البصير ان انتقاده الاول يناقض انتقاده الرابع فهو يقول ان القرائين بلغ بهم التصديق بالقضاء والقدر الى حد اعتبارهم الرجل وامرأته كتلة واحدة سبكتها يد الرحمن لا يجوز مسها ثم يقول انهم يهونون الطلاق فيجيبونه لاهون سبب حتى انهم يطلقون المرأة من بعلها دون ان يعلم فقاتل الله الغرض فهو مرض خبل عقل المؤلف فجعله يناقض نفسه بنفسه وهو لا يشعر وأذهله عما جاء بالتلمود من ان للرجل ان يطلق حتى لاحراقها الطعام اولرؤيته اجمل منها قال الاستاذ ويقولون انكم تطلقون وقت الزواج فالعاقد منكم

(١) وجه ٣٠.

يناول المرأة وثيقة طلاقها مع وثيقة زواجها . قال يديد نعم يقولون علينا ذلك يا سيدى وقد اذكرتني وما كنت لانسي ولكنه قول لم ار له اثراً في احد اسفارهم وانما هو يجري على السنتهم كحكايات العجائز يتفكهون به في سمرهم وهو يناقض قول المؤلف ان القرائين يحرمون الطلاق على طالبه ولا يجيبونه اليه ابداً علاوة على مناقضته هو لنفسه كما قدمنا فضلا عن انه في ذاته سخيف ولا يدري الا الا بالسة من اين جاؤا به فلا هو في سفر من اسفارهم ولا هو في سفر من اسفار القرائين ولا هم شاهدوه في زواجهم ولا هم نزلت عليهم به النبوءة من السماء ولا هو بالشيء المعقول او القابل للتعليل اذ ما معنى كونه يطلق وهو يتزوج او يتزوج وهو يطلق على ان الطلاق عند القرائين الى ما بعد اجل ما غير جائز بل لا بدّ به فورياً ان اراد (١) فكيف به من وقت الزواج فما اشبه هذا الافتراء من الربانين باتهام اليهود عامة بأخذ دم النصارى في عيد الفصح فهو عداء مثله

اما انتقاده القرائين قضاءهم للمرأة شرعاً بالطلاق اذا ابى الرجل وهو ما ليس عند الربانين فسيجيء الكلام عليه في موضعه . اما ما زعمه انهم قد يطلقونها منه دون علمه فافك وبهتان ولا يقبله عقل عاقل وأما تشبيهه القرائين بأهل السنة تارة وبالمعتزلة تارة أخرى

(١) شعار الخضر وجه ١٣٩ واديرت الياهو وجه ١٦٥ الجدول الايمن

وباصحاب عليّ تارة ثالثة فكل ما يعنيه من ذلك هو وغيره من المؤلفين امثاله ان القرائين كالمسلمين اهل تواكل وانهم في انكارهم التلمود كبعض الفرق الاسلامية في انكار السنة والحال انهم بمنزلة بين القدرية (١) والمجبرة (٢) يقولون بالارادة لله والخيار للعبد وليس من الفرق الاسلامية فرقة كفرت بالسنة فيكون لتشبيه القرائين بها في انكارهم التلمود محل وليست الشيعة كما وهم بعض مؤلفي الربانين (٣) تلك الفرقة فانما هي سميت كذلك لتشيعها لعليّ في الامامة وإنكارها على ابي بكر وزهرة الاسلام في كمها لم تزل وما انكار القرائين للتلمود الا لشبه ومآخذ كثيرة لم يقبلها لا العقل ولا العلم . قال الاستاذ هل يمكن ان تقص علينا شيئاً منها . قال يديد ان شرحها يقتضي مجلدات فهي التي فصلت بيننا وبينهم واوجبت ما بيننا من الخلاف فهم ذهبوا انه منزل كالتوراة فتقيدوا به ونحن تأثرنا بالعلم والعقل فكانت كفتهما هي الراجحة فلم نستطع ان نؤمن به سماوياً او نتقيد به مثلهم . ثم

(١) القدرية هم الغلاة في اثبات القدرة للعبد فى اثبات الخلق والايجاد وانه لا يحتاج في ذلك الى معاونة من جهة الله ضد المجبرة

(٢) والمجبرة هم الغلاة في نفى استطاعة العبد قبل الفعل و بعده ومعه ونفى الاختيار ونفى الكسب

(٣) ابراهيم بير وجه ٢١

لو كان المؤلف يعلم من هم اهل السنة وانهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة وانهم الصحابة ومن سلك نهجهم من خيار التابعين واصحاب الحديث ومن اتبعهم واقتدى بهم [١] لما كان اوقع نفسه في تشبيه القرائين بهم

قال الراوى فنظر الحبر شذراً الى يديد ثم التفت الى الاستاذ وقال له انا ليس وقتي رخيصاً عليّ فحتيمَ ينتهي يديد من ردوده وما فرغت بعد من كلامي . قال الاستاذ سيجيء اليك الدور فتشرح لنا الفرع الآخر وهو الفرع العام الذي استبقيته في مقدمة كلامك أما الفرع الخاص وهو ان قرائي القرم كزريون كما تقول فقد وفيته ثم اذا كان لك رد على يديد في ردوده التي هو في طريقها لم يزل أو في ردوده على دعوى الكزرية بعدُ فلك ان تدبجه لنا في كراسة وتقدمها الينا لان وقتي انا ايضاً ثمين وكفى اهتمام الحكومة بكم فانتم الذين اشغلتموها بالخلاف بينكم في حلية الزواج من بعض فضلاً عن الشكوى التي قدمت اليها من قبل . فقال يديد ولا ينس الحبر ان الغرض التفاهم العلمي وان الاخلاص له قبل كل شيء . قال الحبر سترى من الفرع العام ان قبولنا اياكم وزواجنا بكم يستحيل فغضب ابنير ووقف وقال سأتزوج عندهم انا وأختي ونكون من جملتهم . قال يديد وانا

(١) الملل والنحل جزء ٢ وجه ١١٣

واختي لا نقبل الزواج الا عندنا وبشرط التشيع الينا فرد الحبر بقوله وعندكم ايضاً لن يقبلوكم فضلاً عن انكم تستحرمون الاخ والاخت على مثلهما . فقال الاستاذ لا ضرورة للتغاضب والاليق بكم التفاهم بالحسنى فاما ان يقتنع احدكما او يقنع وأرى ان ننصرف بعد فكفى المرة ما استوعبناه من الوقت وقد أمددنا الميعاد الى مثل اليوم والسلام

— ١٨ —

تودد بعض القرائين الى يديد زيارة وايداباً [١] عسى ان يهوي ابنته كما تهواه ولكنه لم ير منه ميلا اليها فأوعز الى بعض اصدقائه ان يستدرجه فمضى اليه في داره وما زالا يتنقلان في الحديث الى ان جاءت المناسبة فقال له الصديق

وهل لا تزال مصراً يا يديد على أخذ الربانة

ولم لا آخذها وهي ستدخل فى زمرتنا

ولكن فلانة تحبك وهي من طائفتك

واستر أيضاً تحبني

ولكن التى من طائفتك أولى من الاجنبية

ان كانت أجنبية فان تكون كذلك بدخولها في الزمرة

ان دخولها يا يديد لا يمحو اجنبيتها اصلاً

(١) اى دعوة الى الطعام

انا عرفتها وعرفتني ومضى لحبنا بعضاً سنوات

ولـكن فلانة تهواكَ تهواكِ جداً قسماً بالله

ولـكن انا لا اهواها والحب من الجانب الواحد لا يكفي

ولـكن من الامثال ان احبتك حية تلفع بها

ولذا فانا اريد ان اتلفع باستر لحبها اياي كما تريد ان تتلفع بي لحبي اياها فـكلانا يتلفع بصاحبه

ولـكن زواجنا بهم يا يديد حرام شرعا ولا يجوز ابداً

ان كانت الحرمة علمية فهاتوا برهانـكم

ان كان اعتمادكَ على كتاب صحائف سليمان (١) فقد انتزعه من دار الشرع من انتزعه اخفاءً له وهو كتابة يدولا يوجدمنه نسخة اخرى

وماذا يفعلون في كتاب ادرت الياهو هو وغيره من المؤلفات المطبوعة المنتشرة المعمول بها وهل الدين يُسرق

ولـكن انت يايديد ستفتح علينا بابا اذا لم نسده قبل فتحه اضرَّنا

سدوه كيف شئتم ولـكن بعد التمحيص العلمي ومعرفة الحرمة من الحلية فهو مبحث يهم العلم والعلماء ولا يليق تركه مجهولاً اوغامضا او جعله لعبة من الاعيب المتخبطين ولا سيما أن دعت الحال الى معرفته علنا

(١) يريعوت شلومو

اني انصح لك يايديد ان لاتتزوج من عندهم رحمة بطائفتك

ان رأيت زواجي من عندهم يضر بطائفتي امتنعت مفضلاً اياها على نفسي فالضرر الخاص ولا الضرر العام

ولـكن عقد الاخ والاخت على الاخت والاخ عندنا يايديد حرام

أعلم انه كان كذلك ولـكنه احلّ في المؤتمر العلمي العام الذي انعقد في ايباتوريا من اعمال الروسيا من جميع علماء القرائين في جميع البلاد منذ عشر سنين

ولـكن القرائين هنا يايديد لم يزالو مترددين في حليته على مايظهر بدليل ان احدهم تعرض للنشرة التي كانت علقتها دار الشرع بالمسجد بحلية العقد المذكور هو وغيره ومزقها تمزيقا

العبرة ياسيدي بالطائفة كلها لا بفرد منها بل العبرة بالعلماء لا بغيرهم اللهم الا ان اراد قراؤ مصر ان يستخفوا بعلمائهم في جميع البلاد وينفصلوا عنهم فيما اقروه وحينئذ ينقسم القراؤن على قلتهم الى فرقتين ترمي احداهما الاخرى بحرمة النسل لاستحلالها ماتستحرمه من المحارم وهي طامة كبرى والعياذ بالله

ان الطائفة يا يديد مستاءة منك وان كانت عهدت اليك البيان عنها فانها رأت منك غلواً كبيراً في التشبث بحلية زواجنا بالربانين وما كانت الطائفة لتظن ان يصل الامر الى هذه الدرجة من التهوين

ان العلم يا صاحبي امانة لايمكن انكارها والدين لا مناص منه ولا بدّ لى من ايفاء ما وجب عليّ من البيان ولمن شاء ان يفند ما اقول وانما وجب ان يكون التفنيد بالعلم والادب والكمال

انا في قدرتي يا يديد ان اضمن لك مهراً كبيراً من قبل فلانة ان طاوعتني وتزوجت بها

انا لا انظر الى المال فهو عارض وهو ليس قوام الزواج فهو يمكن ان يتم بالكفاف بقدر المستطاع وليس من الضروري الحليّ والاثاث والرياش والمآدب فهو عقد ديني عمراني حليه واثاثه ورياشه ولذته المحبة بين الزوجين وموافقة طباعهما واخلاقهما لبعض وهي سعادة الحياة او حياة السعادة اما المال فقضلا عن انه شرعا على الرجل للمرأة لا العكس فكثيراً ما يغر ويخدع فهو بمنزلة الرشوة في بعض الاحوال وكثيراً ما تأسر المرأة به الرجل فهو لا يزال مدينا لها به والدين ذل مهما قربت الصلة ولا تلازم بين الغنى والادب فرب ذات مال ولا أدب لها

ولكن فلانة يا يديد جميلة جداً

الجمال يا صاحبي جمال الاخلاق فرب حسناء دميمة الخلق ثم قد يذهب الجمال اما حسن الخلق فيزيد لا ينقص فاشتر اخلاقا ولا تشتر جمالا واشتر أدبا ولا تشتر مالا

اراك متأثراً جداً يا يديد وكلما حاولت اقناعك زدت تغلبا فاسمح لى بالانصراف بعدُ والسلام

قال الراوى واذا بسوسن داخلة قالت له من هذا وقد أبصرته بالباب

هو يا سوسن نصوح او سمسار زواج

لك أم لى

نصوح لنا جميعا وسمسار لى يريد او يزوجني ويجعل قاعدة قبولى بالعروس ما تعطينيه من المال وفي رأيه الميل وعدم الميل مني سواء

لعلها فلانة

طبعا هي

وما هي نصيحته

ان لانتزوج ربانيين

لعلها نصيحة مدبرة او سعى متفق عليه فقد كانوا يمحضونني انا ايضا النصح مثلك في الوقت نفسه

كيف ذلك

مضيت كما تعلم الى استر فأخذتني الى مدرسة الراهبات تزورهن لانها من تلميذاتها فدخلنا عند الرئيسة فاذا بها عالمة بامرنا جميعا وجعلت تنصح لى وتحذرني من الزواج عند الربانين وادهشني منها

علمها بالشرع عندنا وعندهم ولا ادري أموعز اليها من القرائين ام هو من بادىء رأيها

عجيب جداً يا سوسن وما الذي قالته لك

قالت لي اشياء كثيرة

اذكريها لي بقدر ما تتذكرين

حذرتني من عدة أمور عند الربانين دون القرائين غاضة من كرامة المرأة ومنزلتها وحريتها فذكرت لي الارصاد الشرعي [1] قالت فربما مات ابنير عن غير عقب فتكونين مرصدة لاخيه موريس وقد لا تحبينه فانت لم تريه بعد وقلما عفا عنك فاما ان تساوميه على عصمتك بالمال وكثيراً ما يطمع واما ان تبقى رهينة امره طول الحياة لا تملكين الزواج بغيره ما دام حياً وذكرت لي مقت المرأة في صلاتهم يحمد الرجل منهم ربه انه لم يخلقه امرأة وذكرت لي توقف تصرفها في مالها على اذنه وانها عندهم ليست اهلاً للشهادة وانها لا تستطيع التخلص من زوجها مهما فعل بها او مهما كان من امره الا اذا سمحت مكارمه وطلق أو أذن بالطلاق فلا يمكن للقاضي الشرعي ان ينصفها

الارصاد الشرعي هو ان الرجل اذا مات عن غير عقب وكان له اخ كانت له المرأة زوجة شرعاً لا تحل لغيره ولا تتزوج بسواه واذا امتنعت عدت ناشزاً مالم يعفُ او يمت

منه بالتطليق عليه وان ارتد الى عبادة الاوثان وذكرت لي ايضاً غير ذلك

انا يا سوسن لا اريد ان يكون الجدل بيننا وبينهم الا علمياً محضاً وان يكون على قاعدة المحبة والأدب واكره البغض والعداء واكره تداخل الاغراض فيما لا يعرفونه ولا يرضون ان يفهموه وامقت التسلح الا بالأدب والعلم وحسن الاخلاق والتنزه عن الغايات الشخصية

لقد اذكرتني وكدت انسى فابنير جاءه كتاب من بعضهم بغير توقيع سباً وشتماً

وانت ايضاً اذكرتني وما كنت لأريد ان احكي لك فقد جاءني كتاب كهذا قومي اسمعك الله خيراً اقرأي لي شيئاً من تهذيب الاخلاق او العقد الفريد

— ١٩ —

جاء موعد الاجتماع الرابع فحضروا جميعا فابتدأ يديد يتكلم فقال نريد المرة ان نوفي سائر الاوجه التي يستدل بها المؤلف ويرتكن عليها الحبر من ان القرائين والمسلمين عقيدة واحدة فنقول

قال المؤلف ان القرائين شددوا في امر الصيام فهم يصومون حتى الغلام من سن السبع سنوات وان هذا التشديد اخذوه عن الشرع الاسلامي لما ورد في الحديث «لخلوف [1] فم الصائم احب

(١) خلوف الفم تغير ريحه

عند الله من ريح المسك » والحال ان لا علاقة لهـذا الحديث بتصويم الصغير فضلا عن ان الصغير غير مكلف شرعا لا في الدين الاسلامى ولا في شرع موسى عليه السلام واذا صوم بعض القرائين الصغير مع ذلك فزيادة تعبد تشفعاً وتوسـلا وتربيـة وتعويداً وتمرينا على الدين والصيام من الصغر وأية هجنـة او أية غضاضة فى ذلك على سمعتهم ولـكن كل هم المؤلف محـاولة الحط من قـدرهم في زعمـه بتشبيههم بالمسلمين

وقال المؤلف ان الدين الاسلامى يحرم بقاء المرأة عنـد زوجها في داره ايام حيضها وان القرائين اخذوا ذلك عنـه والحال انه بهتان عليهم وعلى الدين الاسلامى فلا اثر لهذا التحريم عندهم لا علما ولا عملا ولا الدين الاسلامى يعرف من هذا التحريم شيئا بل هو لا يدخل عقلا من العقول اذ اين تذهب المرأة وعند من توجد وكيف يستغنى عنها او تستغنى عن دارها كل حيضة وقد يمتد بها الدم زمنا طويلا وكان الأولى بمثـل المؤلف ان يتحرى الامر علماً او يتصوره عقـلا لا انه يخبط خبط عشواء مهما كان الغل بين الضلوع

وقال المؤلف ان القرائين كالمسلمين اذا مس احدهم الميت فلا يجوز دخوله المسجد حتى يغتسل فاولاً لا اعرف في الشرع الاسلامى حكما خاصـا بتحريم دخول المسجد على من مس ميتـا حتى يغتسل

وانمـا اعرف ان دخولهم اياه مع الجنابة او النجاسـة او بغير وضوء ممنوع وهم اذا دخلوا بالنعش الى المسجد فمكروه اما عنـد اليهود عامة فامام عين المؤلف كتاب التوراة ففي السفر الرابع بالآية الحادية عشرة ان من مس ميتا يعد نجسا وتلزمه الطهارة في اليوم السابع فهل جريمة هي من القرائين اذا لم يقربوا المسجد حتى يتطهروا ؟ ايجوز في شرع المؤلف هو وانصاره دخول النجس الى بيت الله ؟ ألم تعد التوراة ماس الميت نجسا ؟ اهو اتباع التوراة معصية او معرة ؟ انسى جنابه انها حكمة صحية لمنع العدوى والوقاية منها ؟ اغفل عن الحجر الصحي في القوانين الوضعية في جميع البلدان ؟ ولـكن الغرض مرض وقانا الله

وقال المؤلف ان القرائين كالمسلمين لا يفحصون البهيمـة بعد ذبحها وانهم عنـد الذبح يستقبلون القبـلة ويظهرون انها بيت المقدس وباطنهم مكة كالمسلمين . فقال الاستاذ وما هو الفحص عندهم. قال يديد هو يا سيدى ان يتحسس الفاحص ما بين الرئة والضلوع فاذا وجد بالرئة غشاء فعند السفرديم حرام اما عند الاشكنازيم فيخرج الرئة وينفخ فيها ويزيل الغشاء ويبل محله بريقه فاذا لم يظهر منه تنفس او لم يكن بها مسخ عن صورتها الطبعية فحلال وهو ايها الاستاد ليس مطعنا على القرائين فان حجة الربانين فيه مع اختلافهم التلمود وهي حجة قاصرة عليهم فان القرائين لا يؤمنون به سماويا مثلهم اما زعم

المحشّي ان الذبيحة هي ايضا من التلمود فكيف يأخذ به القراؤن في البعض دون البعض فغير صحيح فان الذبيحة مرجعها الكتاب بنهيه عن الدم وتحريمه في عدة مواضع [١] وقوله واخذ السكين ليشحط ابنه [٢] وقوله ويشحطونه [٣] والشحط والسحط والذبح بمعنى في اللغتين فضلا عن الاجماع من عهد نوح وهو من اركان الدين ما اتفق مع الكتاب ولذا اشترط القرائون قطع الاوداج فضلا عن الحلقوم والمريء لما في قطعها من انهار الدم وهو الغرض خلافاً للربانين وان اختلفوا فهم لا يوجبون الا قطع الحلقوم والمريء دون الاوداج وغريب منهم تركهم اياها وانتقادهم فوق ذلك طريقة القرائين واستحرامهم ذبيحتهم والحال ان الاوداج مجرى الدم ولا يمكن الأمن منه الا بقطعها فضلا عما في قطعها من الرفق بالحيوان وهو موصى به اذ بخروج الدم كله جملة يخف نزعه ويقل ألمه والا طال النزع وتراخي الوقت وزاد العذاب

قال الاستاذ وهل لا سمحت فبينت لنا من هم السفرديم ومن هم

---

(١) سفر ٣ ـ ٣ ـ ١٧ و ٧ — ٢٦ و١٧ – ١٠ و١٢ـ ١٤ وسفر ٥ـ ١٢ ١٦و٢٣ و٢٤ و٢٥ و١٥ ـ ٢٣

(٢) سفر ١ ـ ٢٢ ـ ١٠

(٣) ٢ ـ ١٢ـ٦ وسفر ٣ ـ ٣ ـ ٢

الاشكنازيم . قال يديد اعلم يا سيدي ان اليهود بعد جلائهم عن ارضهم للمرة الثانية انقسم معظمهم في الهجرة الى قسمين قسم الى الاندلس اي اسبانيا وتعرف في العبرية باسم سفرد فقيل لهذا القسم سفرديم وآخر الى جهات بولونيا والمانيا والنمسا وتعرف هذه الجهات باسم اشكناز فقيل لهم اشكنازيم وكلا القسمين كناية عن جمهور اليهود اعني الربانين ولكن من القرائين ايضا من استوطن مثلهم تلك الجهات غير انهم لم يعرفوا مثلهم بهذه التسمية لان القرائين على تشتتهم عقيدة واحدة لا خلاف بينهم في شيء اما الربانون فبين السفرديم والاشكنازيم شيء من الخلاف الداخلي اي انه خلاف غير فاصل كالذبيحة وقد تقدم فرقها بينهم وبين بعض وكالصلاة فلكل منهم عبارة وترتيب غير الآخر وكتعدد الزوجات فهو باقٍ على اصله مباحاً حسب التوراة عند السفرديم ما لم يحالف الرجل المرأة على ان لا يتزوج عليها وعند الاشكنازيم ممنوع اصطلاحاً فقد نادى كبيرهم جرشوم بالحرم شرعاً على كل من يتزوج على امرأته حتى الف سنة ولما انقضت جددوا الحرم الى الف اخرى وكالشعار المعروف عندهم بالتفلين وهو يا سيدي شريط من الجلد الاسود بعرض الخنصر يلبسونه في صلواتهم وهو على قطعتين ولكل منهما عقدة صغيرة مربعة كالعلبة فيلبسون احدهما على ذراعهم الايسر مباشرة في العضد اى أعلى المرفق فما دون يلفونه عليه سبع

لفات ويلبسون الثاني في رأسهم بحيث تكون عقدته على الشعر فوق اليافوخ وفي كلتا العقدتين آيات معروفة من التوراة وهي على وضعين في الترتيب بحسب اختلاف ائمتهم وقد اتبع السفرديم الوضع الاول وهو للامام رشي واتبع الاشكنازيم الوضعين معاً في كلتا العقدتين

قال الاستاذ ولكني حضرت الصلاة مرة فرأيت الحبر الكبير يلبس شعارين في رأسه

قال يديد نعم يا سيدى احتراماً لكلا الوضعين وتحاشيا من التسفيه بينهما

قال الاستاذ وهل يختلف الوضع عند القرائين

قال يديد ان القرائين لا يعرفون ذلك الشعار ولا يلبسونه

قال الاستاذ وما هي تلك الآيات

قال يديد هي « اذكر لابنك في هذا اليوم ان الله اوجب عليّ هذا لانقاذه اياى من مصر ويكون لك آية على يدك وتذكاراً بين عينيك لاجل ان تكون شريعة الله في فيك (١) » وقوله « ولتكن الكلمات التي اوصيك بها اليوم على قلبك(٢) » وقوله واربطها آية على

(١) الكلام على عيد الفصح سفر ٢ — ١٣

(٢) ولذا فهم يلبسون ايضا دائماً شعاراً آخر كالقميص بلا اكمام به جديلتان مضفورتان بقدر احرف اسم الذات العلية — سفر ٥ — ٦

« واربطها آية على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم بيتك وعلى ابوابك (١) » فالربانون نظروا الى المنطوق وقيدوا به انفسهم اما القراؤن ففهموا ان الغرض معنوي محض هو العناية بالايمان قلبا وروحاً ووجوب التيقظ له دائما بالعواطف كما جاء في امثال سليمان(٢) « اربطها على قلبك دائما قلد بها عنقك » و « اربطها على اصابعك اكتبها على لوح قلبك » ولنعد الى الكلام علي بقية اوجه انتقادات المؤلف كما وعدنا

قال المؤلف ان القرائين كالمسلمين ورّثوا البنت مع الولد قلت انه محل خلاف بين علماء القرائين والذى عليه جمهورهم حجبها به(٣) ولعل المؤلف لم يدقق البحث او اقتضب ما هو على مرامه وان خالفه الجمهور . على ان توريثها ليس خاصاً بالمسلمين فينتفخ فرحاً وسروراً بفوزه مع ذلك في تشبيه القرائين بهم حطا من قدرهم في زعمه السافل ولوشاء القراؤن ان يفعلوا فعله لذكروا له توريث المرأة لزوجها عندهم وارتكانهم فيه على ما يضحك له الصبية في الكتاتيب(٤)

سفر ٢ — ١٣ — ٩ وسفر ٥ — ٦ — ٨

(٢) فصل ٣ — ٣ و٦ — ٢٠ و٧ — ٣

(٣) شعار الخضر وجه ١٥٢

(٤) شعار الخضر وجه ١٦١

ولكن غايتنا الرد على كتاب المؤلف فلا نتخطى ما فيه

وقال المؤلف ان لغة القرائين في مصنفاتهم العتيقة ليست عبرية وان الواقف عليها لا يكاد يفهمها اذا لم يعرف العربية لكثرة ما فيها منها فهي لغة عربية باحرف عبرية ككتاب الاثكول (١) وغيره فلتقرب القرائين من المسلمين تغلبت عليهم لغة قرآنهم ووددت ان لو كان المؤلف عين لنا شيئاً مما يزعم في الاثكول او غيره فيكون له برهاناً على صدقه ولكن لعله لم يبحث في المقابلة بين اللغتين فكان يفهم انهما لغة واحدة تقريباً وان ما توهمه عربياً هو عبرى في الحقيقة او عبرى ايضا وهذا احد القرائين اهتم فوضع قاموسا جمع بين اللغتين مقارنة وتوحيداً وعسى ان يشرع فى طبعه قريبا(٢) بل ان ذات الجملة التى للمؤلف في هذه المسئلة وهي ٣٦ كلمة منها ٢٣ عربية فليراجعها من شاء ممن يعرف اللغتين

وقال المؤلف ان القرائين كالمسلمين يستعملون شهورهم برؤية الاهلة والحال انها طريقة اليهود عامة قبل الاسلام وقبل شيوع الحساب وهي الطريقة الشرعية او الاصلية الطبعية وما استخرج الناس

---

(١) الاثكول والاثكال والعثكال والعثكول العذق الذي تكون به الشماريخ و بالعبرية اشكول بكسر الالف وتوسط ضم الكاف

(٢) رد العربية الى العبرية

الحساب الا من دورة الفلك ونفس كلمة الشهر بالعبرية تدل على الرؤية فهي حدش بضم الحاء متوسطا ممدوداً وكسر الدال ممالا ومعناه الحدث الحدوث الحديث من مادة حدش اى حدث وهو الاصل في معنى الجديد والربانون انفسهم معترفون ان الشرع ايام بيت المقدس وبعده كان جاريا على العمل بالرؤية(١) وهم لا يزالون الى اليوم ينفخون بالبوق في كنائسهم في اوائل شهورهم لقوله انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال (٢) فهل جهل هو من المؤلف ام تجاهل لمجرد كونه يشبه القرائين والمسلمين

وقال المؤلف ان القرائين بصخر اليهودية (٣) يدخرون دائما بيضى نعام (٤) بالمحراب (٥) ويدعون ان الغرض منهما صرف القلوب وقت الصلاة الى الله قال وهو تعليل لا مفهوم له ولعل الاصح انها اسوة(٦) عندهم بالنبى العربي عليه السلام اذ كان يحمل في جيبه دائما حمامة !

---

(١) الكنز اي أصار يسرئيل الجزء ٧ الوجه ٣٠٧ الجدول الايسر . راجع ايضا هرأباد وهرمبام (٢) مزمور ٨١—٤

(٣) سلع هيهوديم بالقرم

(٤) يقال لها ام البيض وام ثلاثين والظليم ذكرها وهو اصم لا يشرب الماء ابدا ولا مخ له « حياة الحيوان »

(٥) اي الهيكل قبلة الصلاة وحيث توجد اسفار التوراة

٦ اي قدوة

وظاهر ان لا علاقة بين الحمامة وبيض النعام واذا كان لا فرق في نظر المؤلف بين شيء وشيء فليكن استشهاده على تعليله الفاسد بنسبة لا يستجهله بها المسلمون علامة فيذكر له الحمامتين على باب الغار وكونهما باضتا باسفل النقب وما اوفقه مثلا رمتني بدائها وانسلت[١] فبيضتا النعام لا في مساجد القرائين بل في كنائس الربانين ففي صفاة[٢] كنيستان لهم بكل منهما بيضتا نعامة معلقتان بالمنارة من اسفل وانا اوضح له العلة مع ذلك كما تحققتها فهي ان بيضة النعامة على مايقولون لا تفرخ الا اذا هي حدقت اليها بنظرها وتوجهت اليها بقلبها قالوا فهكذا الصلاة عندالله لا تستجاب الا اذا اتجهت اليه القلوب وهو تعليل واعتقاد لا بأس به على كل حال ولكن ماذا نعمل في الجهل المركب والعداء المرتب

وقال المؤلف ان نساء القرائين كالمسلمين لا يظهرهن على الضيفان قلت اذا صح فليكن

وزعم المؤلف ان القرائين لا يؤمنون بالآخرة وعجيب منه يذكر لهم من جملة انتقاداته عقيدة الايمان بضرورة علم اللغة والنحو والصرف والبيان وغيره ويبتلع الثامنة عقيدة احياء الموتى والثواب

---

١ يضرب لمن يعير صاحبه بعيب هو فيه

٢ صفاة اوصفد بلدة بفلسطين قريبة من طبريه

والعقاب[١] ورضى الله عن المنصفين دونه من الربانين فلم ينكروا بل اقروا صريحاً بهذه العقيدة للقرائين مع كراهتهم لهم[٢]

هذه يا سيدى مخازي القرائين في نظر الحخام افرايم مؤلف دليل القرم هو وانصاره من مقرظين وغيرهم وانها ليقيناً مخازٍ في وجه من يراها كذلك وأنشد

ولا عيب فيهم غير ان صلاتهم
يؤدونها كالمسلمين بلا نعل
وان لهم فيها ركوعاً وأنهم
يجلون بيت الله باللبس والشكل
وان الذي لم يغتسل من جنابة
محرمة منه الصلاة بلا غسل
وان بنات الاخت والاخ عندهم
محرمة لا مثلهم فهي في حل
وان علوم النحو والفقه عندهم
لها موقع بين العقائد في الفضل

---

(١) شجرة الحياة — عيص هحييم ـ وجنة عدن وأديرت الياهو

(٢) الكنز اى أصار يسرئيل الجزء العاشر الوجه ٢٤٧ الجدول الايمن

وانهمُ في السبت ارباب عفـة
تنزه للمولى عن اللهـو والهـزل
وانهمُ لا مثلهم يمنعونها
لدى الذبح اوداجاً عن القطع والفصل
وانهم يستعملون شـهورهم
برؤية ميلاد الاهلة كالأصل
وانهم في الفلك اهـل دراية
وانهم قد حكموا العقل في النقل
وان نساء البيت أهـل تحجب
عن الضيف يستحيون في القول والفعل
فهذى على رأي الوشـاة عيوبهم
فيا ليتها كل العيوب من المثـل

قال الاستاذ فلعلك انتهيت من اوجه مقارنتكم بالمسلمين . قال يديد وتركت بعض اشياء طفيفة هي لا في العير ولا في النفير (١) قال الاستاذ ولكن قد يظن انها بالعكس حقائق مؤلمة وهربت منها . قال يديد اذاً فموعدنا الاجتماع الآتي ان شاء الله

(١) اي لاقيمة ولا اهمية لها

— ٢٠ —

قدر يديد في نفسه ان فرقته قد لا تقبل تزويجه هو واخته بابنير واستر ولا تعقد لهم لما رآه منهم من النفور تارةً والتردد اخرى بل لما عرفه عن بعضهم من رميهم الربانين بحرمة النسل لاخذهم بنات الأخت وبنات الاخ كما يرميهم هؤلاء بمثل ذلك لاباحتهم تطليق المرأة على الرجل قضاء رضى أم لم يرض وهو ما ليس جائزاً عندهم فرأى ان يعرض الأمر عليهم ويبحث معهم ويفضه اشكالاً فاما ان يقنعهم واما ان يقنعوه وفي اعتقاده انه يقوى عليهم لما هو متمكن منه من الادلة والبراهين وانما بيت القصيد عنده ان يكون مجادلوه من أولي العلم فيفهمونه ويفهمهم وان يجردوا انفسهم عن الهوى وينظروا الى الحقائق دون غيرها وان لا ينزلوا درجتهم الى مستوى الجهلة الاغرار اهتماماً بهم أو خوفاً من مهاترتهم (١) فكتب الى بيت الشرع يطلب منه عقد اجتماع شرعي ينظر في الامر ويفصل فيه ورخص لهم ان يغالوا في الخامه ما شاؤا بالتكاثر عليه وقد اقرته على ذلك اخته وابنير واستر بعد أن شاورهم في الامر قال لهم فقد يأبون علينا تزويجنا ببعض فيضيع تعبنا سدى . فلما وصل الخطاب الى بيت الشرع جمعوا

(١) المهاترة القول الذى ينقض بعضه بعضا والمهاترة المسابة بالباطل من الهتر وهو السقط من الكلام والحمق والجهل

علماءهم وقرّ رأيهم اخيراً ان ينظروا في المسئلة ويقضوا فيها حسبما يوحى به العلم فضربوا له موعداً وهيئوا من انفسهم قضاة واعدوا من بينهم نائباً يتولى الدفاع عن الشرع والدين ويرد عليه اذا لزم

قال الراوي فحضر يديد واخته وابنير واخته وانتظم عقد المجلس وكثر عدد المشاهدين وكان ليديد صديق من اهله عليم بالشرع فحضر معه لمؤازرته (١) واذا بالاستاذ ايضاً فعتب على يديد لمَ لم يخبره واستفسر ان كان ما يمنع من وجوده قالوا بل مرحباً واعتذر له يديد بالسهو وسأله كيف علم . قال من صديق لي منكم وقد احببت أن اقف على الخلاف من جميع الوجوه

قال الراوي وابتدأ يديد يتكلم قال ان المسئلة معلومة لديكم وهي اني واختي نريد ان نتزوج باستر وابنير من اخواننا اليهود الربانين على طريقتنا نحن القرائين وهما قابلان ان يكونا منا ويتبعا ما نحن عليه فان رأيتم ان الامر جائز حلال فقد كفيتمونا مؤنة المناظرة والجدل فالتفت الرئيس الى النائب وسأله رأيه فاجاب بقوله أرى ان يشرح المسئلة ويوفي بيانها ثم اذا عنّ لي اعتراض أبديته وانتم مرجع الحكم وهو خير الحاكمين فلم ير القضاة بأساً واذنوا ليديد بالكلام فقال

يلوح لي ان سيدي النائب لا يستحرم الامر بل يستحله وانما

(١) اي لمساعدته وتعضيده

هو كأنه يتقي المجاهرة برأيه لما يراه من المعارضة من بعض الافراد فهو يطمئن بي لعلمه بالضرورة بما أنا عليه من الرأى في المسئلة نعم ايها القضاة ان اخواننا اليهود الربانين تطاولوا علينا ورموا ذريتنا بشبهة الحرمة بدعوى ان تطليقنا المرأة على الرجل قضاء مخالف للشرع وانها لا تزال تعتبر في عصمته فبتزوجها غيره تأتي بالذرية الحرام وهي دعوى فاسدة (١) ولكن علماءنا جميعهم لم يرد أحد منهم ان يتفوه برمي ذريتهم بشبهة الحرمة وكان لهم ان يفعلوا وحجتهم زواجهم بينات الاخت وبنات الاخ وهن محارم كما سبق البيان (٢) وانا لا اريد ان اشذّ فاتفوه بما لم يتفوهوا به بل اريد ان اقف موقفهم لا أتخطاه وما هم بالجهلة او الاغرار بل هم على علم شهد لهم به الربانون انفسهم وقد كانوا مع بعض على شيء كثير من الجفاء والتقاطع مما يحمل على المجاهرة وعدم المحاشاة او المجاملة لو كان للقول محل بل انهم فوق ذلك صرحوا بجواز قبول كل من يتشيع الينا ومصاهرته في الحال (١) وهي كلية عامة كما هو ظاهر ولا يمكن القول باستثناء الربانين منها الا باخراجهم بدليل يخصهم بالذكر ولا سيما اذا كان ما يدعو الى الاخراج والاستثناء

(١) سيجيء بيان ذلك فيما بعد — (٢) وجه ٩٧ و٩٨

(٣) اديرت الياهو وشعار الخضر

قال الراوي واذا بمن يقف من عامة القرائين ويقول ان من يتزوج بربانة بقرت بطنه بسكين فقال يديد اذا كانت الغلبة بمثل هذا التهويش امكن مقابلتها بالمثل من نوعها فاستعطفوه ونهروا الرجل واخرجوه واستأنف يديد الكلام فقال

وجاء بالمختار (١) وبصفحات سليمان (٢) من احبار القرائين ان اليمين التي يقسمها العروس حين العقد وهي « بعهد طور سيناء وبفرائض جبل حوريب خطبت وقدست لي فلانة ابنة فلان لتكون لي زوجة على طهارة وقداسة بمهر ووثيقة وقبول كشريعة موسى وبني اسرائيل » ما هي الا عهد باتباع ما عليه القراؤن لاحتمال ان تكون الزوجة من اخوانهم فلا يتبعها بل تتبعه والمعنى كما هو ظاهر جواز الاخذ منهم

وكان القراؤن لا يمانعون في قبول الربانين بل بالعكس كانوا يسعون ويجتهدون في استدراجهم اليهم وادخالهم في عقيدتهم وكانوا يتجولون في البلاد من اجل ذلك حتى استمالوا الكثيرين منهم ولذا قيل لهم قراؤن أى داعون كما قيل لهم بنو المقرأ أى بنو الدعوة أو هو من جملة معاني هذه التسمية وكانت الاستمالة بواسطة الاقناع والمحاجة ويقول الربانون انها كانت في الغالب بطريق الحيلة والاغراء ومن

(١) همبحار للعلامة هرون يوسف عند كلامه على سورة الاحكام

(٢) يريعوت شلومو

المشهورين فيمن تقرأوا التراس وسمحه بن يهوشوع (١)

واشهد الربانون على انفسهم امام الشرع الاسلامي بمصر انهم لا يمانعون ولا يعارضون من يريد ان يتبع منهم طريقة القرائين كما هي الشهادات الشرعية التي استوثق بها القراؤن عليهم منذ السبعمائة سنة بعد أن شكوهم من اجل ذلك (٢) والمعنى كما هو ظاهر جلياً ان القرائين كانوا يغضبون لتعرض الربانين لمن يتحول منهم اليهم لا انهم يستحرمون قبوله

وجاء في كتاب جرش الاقمار (٣) لمؤلفه العلامة يوسف سباق من احبار القرائين باوديسا بالروسيا ومطبوع في سنة ١٨٧١ وهو في علم الفلك بالوجه ١٤ بالنهر الايسر ما نصه « وكان القراؤن قد نشأوا قبل عنان بثمانمئة وستة وثمانين سنة وقبل ظهوره بثلثمئة وتسعين سنة ترك الربانون الرؤية في استعمال الشهور فلما جاء عنان فصل بين الفرقتين فعلاً وانما كان القراؤن يتزوجون مع ذلك من نساء الربانين بشرط اتباع المرأة بعلها »

ثم ان المرحوم يشوعاه رصون حبر القرائين اخيراً في مصر أفتى

(١) القراؤن والربانون وجه ١٦٢ والكنز أي أصار يسرئيل جزء ٩ وجه ٢٠٩ الى ٢١٥ ثم وجه ٢٢٩

(٢) شعار الخضر في باب الآثار التاريخية بالوجه ١٨٠

(٣) جرش يرحيم

بقبول وحلية التزوج بالربانة بشرط اتباعها زوجها وذلك لمناسبة تزوج احد القرائين بربانة وهي المسئلة التي قدمت بشأنها الشكوى الى الحكومة

ورحمه الله زوج قبل ذلك في بقراءة وهو ربان الأب جاء به من قراءة عن غير عقد فاذا كان بنسل الربانين حرمة فكيف ساغ تزويجه زواجاً شرعياً بقراءة وبركة

ثم ان علماء الربانين في مصر والاسكندرية نفوا شبهة الحرمة عن ذرية القرائين ومما اعتمدوا عليه في ذلك ما توفر بين الفرقتين من التباين والخلاف وان القرائين يكادون يعدون ملة على حدة كسائر الملل وقضوا بحلية وشرعية اولاد جاء بهم زوج ربان من زوجة قراءة وهو ما دعا الى البحث والافتاء بعد أن خفي امر الزوجة على المأذون حين العقد فاعملوا مثلهم انتم ايضاً واعتبروهم ملة على حدة اذا اردتم على الاقل

واذا قضيتم ان بذرية الربانين حرمة فأفيقوا لانفسكم قبل ذلك وانعموا الفكر فيما انتم فاعلون ودبروا لكم رأياً ان امكن في نتيجة القضاء بذلك ان جازوقوعه فانكم تسجلون به على انفسكم نفس الوصمة التي تصمونهم بها فانه لا مراء في اندماج الكثيرين منهم في فرقتكم وتناسلهم بينكم فهم اذا كان بذريتهم حرمة فقد اختلطت بكم ذريتهم

هذه فهل تريدون ان تسجلوها على انفسكم بايديكم

وقد اجمع النبيون ان مرجع الامم كلها الى الله وان الدين يومئذ دين اليهودية وان الاجانب يتعلقون باليهود كل عشرة بواحد يتشيعون اليه(1) . وما يتكلم النبيون الا بالوحي من عندالله ولا بد من الايمان بهم فهو أحدى العقائد فماذا يفعل القراؤن يومئذ أينفرون من أولئك ام يعيبونهم بحرمة النسل فبعضهم يستحل بعض المحارم عندنا والله لا تخفى عليه خافية ام يقولون لهم اذهبوا الى الربانين دوننا ام يكون التشيع الى هؤلاء دون القرائين ام يخرج الربانون حتى عن صف الاجانب وكيف تتم النبوءة واين يذهبون

قال الراوي فتصدى احد الحاضرين للكلام وقال اقضوا ايضاً في الاخوين على الاختين والاخ والاخت على الاخت والاخ فاما حلال واما حرام نعم ان المؤتمر العلمي الاخير الذى انعقد بالروسيا من جميع احبار القرائين في جميع البلاد عدا مصر قرر انهما حلال ولكن كأن الامر لم يرض بعض افراد الطائفة عندنا فعمد الى تمزيق او نزع نسخته وكانت بالمسجد علقها نائب الشرع رحمه الله

فنظر القضاة الى النائب ليروا رأيه في ذلك فقال وان لم يكن لمصر نصيب في حضور ذلك المؤتمر بسبب الحرب وسد ابواب البلاد

---

(1) اشعيا ٥٦ ـ ٣ و٦ وزكريا ٨ — ٢٢ و ٢٣

في وجه الاجانب عنها فلا بد من احترام قرار المؤتمر والا انقسمنا على انفسنا مع قلتنا ورمينا بعضنا بجرمة الذرية

قال يديد واضيف الى قول سيدى النائب ان مسند علمائنا الاولين كان القياس على الرجل وامرأته والابن وابنتها فقاسوا عليهم كل قريبين على قريبين ولكن المتأخرين منهم بينوا خطأ هذا القياس من بعض الوجوه فالرجل وامرأته والابن وابنتها اصل وفرع واصل وفرع واما الاخ والاخت والاخت والاخ ففرع وفرع وفرع وفرع الى آخر ما تضمنه قرار المؤتمر (١)

قال الراوي فوعد القضاة باعلان الحكم بعد شهر وانصرف الجميع

— ٢١ —

جاء دور الموعد الخامس للاجتماع في دار الكتب لخضر واجميعاً وقام يديد يتكلم فقال

يقول المؤلف ان القرائين كفرقة الشيعة من المسلمين كانوا يدعون الناس الى طريقتهم وعقائدهم ولذا قيل لهم قراؤن اى دعاة قلت هي غيرة منهم يشكرون عليها وقد شهد لهم بها الربانون

يقول وانهم مثلهم ايضاً يدفنون الميت ووجهه الى الجنوب (٢)

---

(١) شعار الخضر وجه ١٧٣

(٢) اي في القرم

قلت ولا بأس فهى جهة بيت المقدس قبلة الصلوات

يقول وانهم مثلهم كذلك لا يذهبون بالعروسين بالحفّة (١) الى المسجد بل يكتفون بمخدعهما فهو بمثابة الحفة عندهم . قلت ان الربانين انفسهم هم كذلك في مصر ثم في سائر البلاد الشرقية ايضاً على ما اعتقد وقد رجع المؤلف واعترف (٢) ان ليست العادة عامة الاتباع مع ذلك عند جميع الربانين في جميع البلاد فاذا شاء فلينتقدهم جنابه قبل القرائين . على انه ما اتخذت الحفة لجلوس العروسين وقت العقد مع ذلك الا تأثراً لقوله « لان على كل مجد حفة (٣) » وقوله « جعل للشمس مسكنا فيها وهي مثل العروس الخارج من حفته (٤) » ولذا فالحفة بمعنى الكرامة في اللغتين

يقول وانهم كانوا يصومون عن اللحم والنبيذ كالدراويش

---

(١) الحفة كالمحفة المظلة وما يهَّيء لجلوس العروسين من حفّ القوم بالشيء وحواليه أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا وفي العبرية حُفَّه ولكن فاءَها تنطق كالباءِ ذات الثلاث نقط والهاءُ كالألف المقصورة وعند الاضافة او الجمع تكون تاءً والمعنى كالمصدر واحد في اللغتين

(٢) وجه ١٥٨

(٣) اشعيا ٤ — ٥

(٤) مزمور ١٩ — ٥

لاعتقادهم بالتناسخ[١] كالمسلمين والهنود ومنهم سهل الكاهن حرّم البقر والضأن في الجلاء قلت اولاً انه انتقاد على ما كان لا على كائن ثانياً انه تقشف او تزهد لا بأس به وكم في العالم من جماعات لا يأكلون

(١) التناسخ ويعرف ايضا بتقمص الارواح وفي العبرية جِلجول بكسر فسكون هو كما ذهب القائلون به ان الارواح البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة و بالاخلاق الطاهرة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك وربما قالوا انها تنتقل الى مخالطة عالم الملائكة واما ان كانت شقية جاهلة عاصية فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت تلك الارواح اكثر شقاوة واستحقاقا للعذاب انتقلت الي بدن حيوان اخس واكثر شقاء وتعباً واحتج القائلون بذلك من المسلمين بآية « وما من دابة في الارض ولا طائر بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون ». تفسير الرازي جزء ٤ وجه ٤٠ . وفي الكنز « أصار يسرئيل جزء ٣ وجه ٢٨٨ » ان انتقال الارواح في اعتقاد قدماء الهند يكون الى الابدان البشرية دون الحيوانات وفى اعتقاد متأخري الاسكندريين كمتأخري الهنود يكون ايضاً الى ابدان الحيوانات قال ولذا استحرموا اللحم وقتل الحيوان والطير تحريما. وفي الملل والنحل بالجزء الاول بالوجه ٩٠ ان من قال بالتناسخ من المسلمين هم القرامطة وانهم احتجوا بقوله « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك فى اي صورة ما شاء ربك» وقوله جعل لكم من انفسكم ازواجاً ومن النعام ازواجاً يذرؤكم فيه » قال وايضا بعض الكيسانية — وجه ١٩٦ بالهامش

اللحم ويعيشون على النبات ولا ينكر احد مضار الخمر وكم حذرت منها التوراة ونددت بالعاكفين عليها[١] وهذه امريكا حرمتها وتحريم من كان يحرم من القرائين اللحم في الجلاء انما هو لسبب الجلاء نفسه لا لعقيدة التناسخ وهذا عنان مؤسس نشأة القرائين كما هو قول الربانيين انفسهم انكره بتاتاً[٢] وما اشتراط القرائين للذبح قطع الاوداج الا لانهار الدم لحرمته فضلا عن الرفق بالحيوان لانه حيوان كما هو اى روحاً وبدنا لا بدناً فقط . واذا قال قائل من القرائين بالتناسخ فما اكثر القائلين به من الربانين[٣]

هذه يا سيدى تتمة الانتقادات التي ندد بها المؤلف الحخام افرايم في كتابه دليل القرم على القرائين هناك بنوع خاص وأراد أن يحط من قدرهم بتشبيههم فيها بالمسلمين في زعمه السخيف وها قد رأيت ورأى كل سامع قيمة مبلغها من الخطأ والخطل وما هي مندمجة فيه من البغض والعداء وفي الاجتماع القادم بحول الله وقوته نأتي على بيان من هم الكزرية الذين زعم المؤلف انهم الاصل في قرائي القرم

(١) اشعيا ٢٨ — ٧

(٢) القراؤن والربانون وجه ٧٩ والكنز اي أصار يسرئيل جزء ٩ وجه ٢١٣ الجدول الايمن

(٣) الكنز اي أصار يسرئيل جزء ٣ وجه ٢٨٨

وما هي ادلته على ذلك وان وضح ان الكتاب عداء في عداء وانتقام في انتقام

فقال الحبر لا بل ايها الاستاذ أريد ان اتمم دوري اولا فآتي على بيان ان بهم حرمة في النسل مما لا يسمح لنا بالتزوج بهم وهو القسم العام من قسمي كلامي عليهم كما سبق التمهيد ففصل الاستاذ في هذا النزاع بأن لا بأس بذلك وانصرف الجميع

— ٢١ —

جاء يوم الامتحان السنوي لمدرسة القرائين فأعلم يديد به الاستاذ وكان على انتظاره بعد أن وعده يديد لما رآه منه من الرغبة في الحضور بعد وجوده ببيت الشرع وسماعه تلك المناظرة الشرعية فهم منصرفون مروا بالمدرسة وهي على مقربة من بيت الدين فلما اعلمه يديد باليوم حضر في جملة من حضر وابتدأ الامتحان ومن جملته ان سئلت فرقة من التلاميذ في اللغة العربية وكانت الاسئلة والاجوبة كما يأتي

ما الفرق بين خطئ وأخطأ ؟

خطئ بفتح الاول وكسر الطاء خطأ بكسر الاول وسكون الطاء فهو خاطئ تعمد الخطيئة واخطأ خطأ بفتح الاول والثاني فهو مخطئ لم يتعمد

وما الفرق بين الضوء والنور؟

الضوء اعم فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً « هو الذى جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما اضاءت ماحوله ذهب الله بنورهم»

والضَعف والضُعف ؟

الضعف بفتح الضاد في الرأى وبالضم في البدن يقال فلان في رأيه ضعف بالفتح وفلان في بدنه ضعف بالضم

وضاف واضاف ؟

ضفت الضيف واضفت كذا الى كذا ضممته اليه

والغلط والغلت ؟

الغلط في القول والغلت في الحساب

والجفاء بالفتح والجفاء بالضم ؟

الجفاء بالفتح نقيض الصلة والجفاء بالضم الزبد « فاما الزبد فيذهب جُفاءً »

يقال قلق الخاتم في الاصبع فاذا كان المعنى العكس فماذا يقال ؟

يقال لصب على وزن فرح اي بالكسر والفتح ؟

والنفاق والنفاق والسداد والسداد ؟

السداد بالفتح الصواب وبالكسر الصمام الفدام اى سداد القارورة . والنفاق بالفتح ضد الكساد وبالكسر الرياء نافق منافقة

مأخوذ من النافقاء احدى حجرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا أوتي من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فانتفق اى خرج

وسحج وسجح ؟

سجح بالجيم كفرح سهل ولان وطال في اعتدال وسحج بالحاء كمنع قشر

وسئلت فرقة اخرى في العربية والعبرية مقابلة بينهما فكان ما يدل دلالة واضحة بينة ان اللغتين واحدة وان لا بد لكاتبيهما من العلم بالاخرى

وسئلت فرقة ثالثة في الفقه ومن جملته ان قوله في البدء خلق الله بصيغة الجمع « إلهيم » هو بمعنى القوة والقدرة وانه اسم جامع لما كان يتوهمه بعضهم من ان لكل شيء او لكل نوع من الضدين الها فالمعنى انه هو الكل في الكل ولذا قيل برا أى خلق أى بصيغة المفرد لا الجمع ولا يتوحد الفعل في العبرية مع الجماعة كما ورد أنا أنا هو ولا آله غيري أنا أميت وأحيي . وأخطأ من قال من علماء الربانين ان الجمع في الصيغة للتعظيم والتفخيم فهو يفيد النقص وحاشا لله منه

وان قوله وروح الله يرف على وجه الماء اى الريح اى نسيم الهواء واصله كما هي عبريته بالواو صيرت ياءً لانكسار ما قبلها والعناصر

اربعة منها النار والروح فاعلان والآخران وهما النار والعفر منفعلان والمعنى ان الحركة والفعل هو من الله

وان قوله فاستراح في اليوم السابع هو في العبرية فسبت أى انه قد اكمل الخلق وأتمّ الكون فجاء اليوم السابع بعد ذلك ولذا قيل له سبت والتعريب باستراح منتقد لما فيه من مفهوم التعب وهو محال على الله

وان قوله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا هو قول مضاف الى الملائكة اى ان خلق الانسان يكون علويا ايضاً لا كسائر المخلوقات سفلياً فقط

وان السؤال من آدم عن اكله من الشجرة هو استفهام تقريري لا كما قال رشي من فطاحل علماء الربانين تعجبي فان عدم العلم او الاستغراب على الله محال

وان قوله « لا يدعي اسمك بعدُ يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت [1] » اى مع الملأك [2] فهو الذي جاهد معه لا الله سبحانه وتعالى وقد اراد عز وجلّ ان يقوى عليه

---

(١) سفر ١ — ٣٢ — ٢٨

(٢) بهمز الالف الاخيرة مفتوحة وفي العبرية ملأخ والمصدر لأخ وفي العربية لأك

يعقوب ويقدر بياناً لمستقبل الامة ولذا سماه اسرائيل بدل يعقوب واسرائيل لفظها العبرى يسرإل بكسر فسكون ففتح فكسر ممال ممدود من كلمتين يسره إل فيسره والهاء فيها كالألف المقصورة، فعل مضارع بمعنى يسود يرأس يقدر يعلو من مصدر سره بفتح فضم ممال والهاء لا تظهر وهو في العربية سرو يسرو ويسرى وإل هنا بمعنى القوة والقدرة

وان اللعين في قوله « هي كاللعين في مقثأة[1] » هو مايتخذ في المزارع كهيئة الرجل او الخيال تستطرد به الوحوش والطير والكلمة العبرية تمر بضم متوسط ممدود فكسر ومعناها الكربة اي كرنافة النخلة فان النخلة بالعبرية تمر بالفتح ممدود الوسط كأنها بالف واما كلمة مقثأة فاصلها العبرى مقشه بكسر فسكون ففتح والهاء كالألف المقصورة وقد وردت بهذا المعنى[2] كما وردت ايضا بمعنى اصم أى غير مجوّف[3] من مصدر قشه بفتح فضم متوسط والهاء لا تظهر اى مصدر قسا يقسو في العربية وما ذهب اليه المفسرون العبريون هو هذا المعنى لا معنى المقثأة والنطق واحد والكلام على ما كانت تعبده الامم من الاصنام اى انها خشب صماء لا تخلخل فيها فيحركها الهواء

---

(١) ارميا ١٠ — ٥

(٢) اشعيا ١ — ٨

(٣) سفر ٢ — ٢٥ — ٨

او هي كاللعين في المقثأة ولعله كان يؤخذ من الكرنافة اى كربة النخل ولذا قيل تمر فلكل من تفسير المفسرين وتعريب المعربين وجه

ثم سئلت فرقة رابعة في النحو والصرف والبيان والمعاني عدة اسئلة مهمة فاجابوا اجوبة سديدة

ثم سئل بعضهم في الحساب والمنطق وتخطيط البلدان وعلم اللغة من عبرية وفرنسية وانكليزية فكانوا في اجوبتهم قرة عين الحزين

ثم سئلت فرقة من البنات فاجبن وبرهن على شدة التفاتهن الى العلم والادب ورقة الاخلاق والتهيء الى حياة المستقبل والمعيشة الزوجية وقد انشدت احداهن هذه القصيدة بلفظ عربي فصيح

انقذوني من دياجي الظلم
واجعلوني في مصاف الامم
فانا اليوم اذا كنت ابنة
فغداً ام رجال الهمم
علموني فانا أول من
يرضع العلم مزيجاً في الدم
فاذا علمتموني لغة
لقط الطفل جناها من فمي

علموني فانا الأم التي
يتبع الابناء خطو القدم
فاذا كنت على جهل فيا
شر ما يجنى عليهم قلمي
انقذوني وانقذوا اولادكم
واجعلوا الابنة ام الحكم
وانظروا للناس كيف استثمروا
بترقي العلم برء السقم
وانظروا كيف توانينا الى
ان غدونا في مهاوي الندم
نبهوا اجفانكم من نومها
فالذي يبغي العلا لم ينم
واتركوا عيشاً قديماً قد مضى
طعمه في الذوق مثل العلقم
واطلبوا العصر الجديد المنتمي
في امانيّ العلا للكرم
لا تراعوا المال في تهذيبنا
فبفضل العلم مجد العظم

واعلموا انّا أمانات اذا
لم تراعوها مضت بالذمم
انا ان كنت ابنة جاهلة
فاحسبوني بينكم كالعدم
لم أقف في وسطكم أنشدها
حكماً تسطع مثل الأنجم
كنت كالعجماء لا أدري ولا
تستوي احياؤنا بالرمم
فالذي في الجهل ميت والذي
هو في العلم حياة النعم
فارحموا اولادكم اكبادكم
واذكروا أنّا بقايا القدم
أختم القول ولا تنفد في
صفحات العلم يوماً كلمي

ثم ختم الاحتفال بهذه الابيات لأحد التلاميذ وهي

انوب عن المعارف والعلوم
لاشكر من تفضل بالقدوم

فلولا انكم لبيتمونا
لكنا كالمقام بلا مقيم
وان العقد ليس يعد عقداً
بغير فضيلة الدر النظيم
فوالوا عطفكم أبداً علينا
وكونوا للتنفس كالنسيم
نموت اذا عدمناه ونحيي
بكم فالعلم درياق السموم
اعينونا نردّ الجهل عنا
ونهدي النسل للنهج القويم
وعندي القول ميسور ولكن
يضيق الوقت في نظر الحكيم
فاختمها قليلات وفيها
من المغنى كثير كالنجوم
واشكر مثلما استهللت حتى
يكون ختامها مسك الكريم

قال الراوي فسر الجميع بما رأوه ولا سيما قسم البنات الفقيرات وتعلمهن الخياصة والتطريز واتقان الاقمصة والملابس للنساء والرجال

واعداد انفسهن للارتزاق من ذلك اذا لم يستغنين واثنوا وهم منصرفون ثناء عاطراً وقالوا هكذا ليكن الاهتمام بالعلم والتعليم والتربية والأدب والعناية بالاخلاق والاعداد للحياة والمحافظة على شرف المستقبل وان مدرسة كهذه خير من الف مسجد فركن الدين وأساس المساجد العلم والتربية اولاً

— ٢٢ —

جاء موعد الاجتماع الخامس فقام الحبر وقال وقد غصت القاعة بالحاضرين ان كلامي اليوم هو ان في ذرية القرائين شبهة حرمة وهي تمنع زواجنا بهم لا محالة وبيان ذلك انهم اباحوا القضاء للمرأة بالطلاق على زوجها اذا ابي والحال ان الطلاق ملك الرجل وحده لقوله « فاذا لم تحظ في عينه لعيب وجده بها دفع اليها بوثيقة الطلاق » فلا سبيل عليه للقاضي فيه الا تفهيمه وجوبه عليه شرعاً

قال الاستاذ فاذا لم يطلق ؟

قال الحبر يقضى عليه للمرأة بالنفقة فهي تضطره الى الطلاق او يقضي عليه بالحرم الشرعى (١) حتى يطلق وأفتى العلماء بضربه

(١) الحرم بكسر الحاء وسكون الراء من الحرمان ونطقه العبرى بالكسر فى الحاء والراء ممالا ممدود الاول ومعناه واحد وهو المنع ووجهه الشرعي مباينة من عزر به حتى يعفى عنه او تنقضي المدة او يذعن لما أمر به شرعا

ولـكنه اليوم ممنوع سياسة اما القراؤن فقد انابوا القضاء مقامه فاذا
لم يمتثل حكم القاضي للمرأة بالطلاق وأخذ بحكمه رضى الرجل ام ابى
أو فرق بينهما اذا كان الموجب من جهة الدين رأساً ومعلوم ايها
السيد الاستاذ ان المرأة والحال هذه في نظرنا كما هو الشرع الصحيح
لا تزال تعتبر في عصمة زوجها فبتزوجها غيره تأتي منه بالذرية الحرام
ولذا وجدت شبهة الحرمة في القرائين لشيوعها بعملهم بالطلاق قضاء
وتزوج المطلقات بغير ازواجهن . نعم ان من علمائنا من طعن على
عقود زواجهم فاسقطها لمخالفتها لنا من بعض الوجوه وبذا أسقط
الطلاق تبعاً لبطلانها

قال الاستاذ فكأنما القراؤن لا زوجية لهم في نظركم

قال الحبر هكذا ذهب بعض علمائنا وهو بيان لا بد منه فهي مسئلة
زواج بيننا وبينهم فلا بد من بحثها لمعرفة ما اذا كانت حلالاً أو
حراماً اما القول ببطلان زواجهم اسقاطاً للطلاق فليس اجماعاً

فقام يديد للرد وقال اذا نص الكتاب على الطلاق كيف يكون
فلا حصراً له في يد الرجل وانما لان الشأن فيه له غالباً او عادة والا
فلا ينكر كما هو الواقع المشاهد حاجة المرأة والشرع ذاته الى التطليق
ولا فرق بيننا وبين اخواننا الا في الوسيلة فهم يتذرعون اما بالمحايلة
والتحايل على الرجل حتى يطلق واما بمساومته بالمال واما باحرامه

شرعاً واما بتهديده بالنفقة واما بجلده ان امكن أما القراؤن فالوسيلة
عندهم القضاء شرعاً اذا امتنع ولا شك انه خير الامور فاذا رأى
الربانون انه اكراه فهو حاصل عندهم بالنفقة والاحرام والضرب
وفرق بين الاكراهين اذا عد القضاء اكراهاً فان الاستعانة بقوة
الشرع ورجاله اشرف وأوفى بالغرض وأصون له من وصمة العجز
بالتذلل الى الرجل ولا اطيل عليك ايها الاستاذ فالمقام مستوفى البيان
في كتاب القراؤن والربانون بالوجه ١٦٨ وانما ازيد على ما هناك شيئين

الاول ان المحاكم في اوروبا تقضي للمرأة بالطلاق ويؤخذ به على
الرجل رضى أم ابى ولا يمتاز اليهود هناك في ذلك عن غيرهم فتطلق
المرأة منهم طلاقاً مدنيا بلا ادنى نظر أو فكر الى الدين وتتزوج غيره
وتأتي منه بالذرية وليس من اجراآت الطلاق سوى ذلك الحكم
المدني فلا وثيقة من دار الشرع ولا رضاء او اذن من الرجل

الثاني ان علماء الربانين في مصر والاسكندرية افتوا منذ سنتين
بان لا شبهة حرمة في ذرية القرائين وان زواجهم بهم حلال وفندوا
قول من قال منهم بالحرمة وأيدوا فتواهم هذه بجملة حجج وبراهين
وتكاد تكون كتاباً لطول مباحثها وفيها ان كثيرين من القرائين اندمجوا
بهم وتزوجوا منهم فلو كانت بهم حرمة لما قال من قال منهم بحليتهم
وقبولهم مثل العلماء الاعلام الميموني وولده وهردباز وهراش وهرمبان

نحمان ومهري وغيرهم من جميع البلاد ولذا ورد نص المادة ١٤٤ في الجزء الثالث من احكامهم الشرعية لجامعه العلامة حاى شمعون تعليقاً على المادة ١٤٣ من الجزء الاول بالغاء ما اشترطته من وحدة العقيدة بين العروسين

والا فمن يقول من الربانين أن بالقرائين شبهة حرمة في النسل فهو يسجل ذلك على نفسه وعلى جميع اهل فرقته لاندماج الكثير من القرائين بينهم كما تقدم

— ٢٣ —

غصت الشوارع والطرقات بالناس وامتلأت المطلات والشرفات والاسطح بالمشاهدين فلم يبق لا كبير ولا صغير ولا غنيٌ ولا فقير ولا رجل ولا امرأة ولا ابنة ولا غلام ولا قريب ولا بعيد الا هبَّ وخرج في ذلك اليوم الموعود يوم تشييع جنازة اولئك الشهداء شهداء العلم والغربة اولئك الذين تركوا بلادهم واهلهم واقرباءهم واصدقاءهم وسافروا الى بلاد الغرب يزاولون بها العلوم العالية النافعة علوم الطب والهندسة والصناعة وغيرها ليخدموا بها بلادهم وينفعوا بها انفسهم وغيرهم فاصطدم القطار بآخر في حدود بلاد الطليان فقتل اثنى عشر وجرح كثيرون فقامت مصر كلها وقعدت لانتظار نعوشهم ومشت كلها امامها فلم يبق قيد شبر في الارض بغير ناس وما زال هذا حال

البلد من الظهر الى المساء فلا غرو اذا كان من جملة المدارس المشيعة تلاميذ مدرسة القرائين الخيرية

قال الراوي وتبارى الخطباء والشعراء حول المقبرة وتقاطرت الفصاحة والبلاغة تقاطر الدموع السخينة وانخلعت القلوب انخلاع الغصون من مغارسها فلم يبق من عين الا بكت ولا نفس الا شكت ولا قلب الا تأوه ولا جماد الا لان وسبحان من بيده الحركة والسكون ولا يدري غيره بما يكون

قال الراوي وتأثر الحاضرون لقصيدة أنشدها احد تلاميذ المدرسة ولا سيما انه كان ينتحب حين انشادها وهي

سكت وما سكوتي غير وجد
أضرَّ بمنطقي فذوى بياني
كماء النبع عاقته سدود
ويوشك ان يهد به كياني
وما زال الزمان يكيد كيداً
ويا لله من كيد الزمان
وأصبر لا أرى للصبر نفعاً
واشكو للأمان من الأمان

وحرت فلم اوفق في حياتي
الى شيء يسر من الاماني
وكنت عن البكاء نهيت عيني
فجاء الهم عن نهي نهاني
أبيتم ايها الشهداء الا
كجرى الخيل في يوم الرهان
فخالت كبوة أصمت قلوباً
اطارتها شعاعاً كالدخان
اردتم خدمة الوطن المفدى
وتنبيه المكين الى المكان
واحياء العلا في كل نفس
ورفع الشأن او محو الهوان
ونشر العلم في ارجاء مصر
ورد الخاملين عن التواني
فوا اسفي عليه من شباب
كاشباه العرائس للغواني
ويا وله التي ولدت وويحي
عليك ابا لربك ما تعاني

اصابتهم من العلياء عين
فاودت بالفصاحة واللسان
ومن لم يرض غير النجم سؤلاً
عليه خفت منه فهو جان
بني الاقدام والوه طريقاً
فانتم كالدعامة للمباني
ولولا قوة في النفس كانت
كمعول هادم في كف بان
الى من يرحم الرحماء ربي
نفوس ضحيت قبل الاوان
لهم منا العزاء حياة ذكرى
تخلد في معانيها الحسان
وهذى الشمس تشهد كل يوم
وهل شيء يمر بلا وزان

— ٢٤ —

جاء موعد الاجتماع السادس فحضروا جميعاً ووقف يديد للكلام فقال انتهينا من الكلام على ما اورده المؤلف في كتابه من ان القرائين والمسلمين مذهب واحد وبقي ان نتكلم على ما زعمه ان قرائي القرم

كزريون اصلا وقبل ان آتي على ادلته في ذلك والرد عليها ارى ان اذكر اولا من هم الكزريون فاقول

الكزريون وبالعبرية كوزريم باشباع ضم الكاف كانوا على ما يقول الربانون (١) نقلا عن السلف قليلي العدد وبارك الله فيهم فانماهم ورزقهم القوة والجبروت حتى عظم شأنهم وامتد ملكهم مما بين آسيا واوروبا الى البحر الاسود فجبال القوقاز فاطراف جزيرة القرم وكان عليهم ملك يدعى بولان محا عبادة الاوثان وتجلى عليه أحد ملائكة الرحمن واوحى اليه ان يدخل في دين الله ووعده بسعة الملك والسلطان فكان وعداً مأتياً وذاع صيته في الآفاق وفتح الله له كنوز الفضة والذهب فتزلف اليه ملك أدوم وامير المؤمنين بالهدايا والمنح والعطايا واستماله كلاهما الى دينه ولدهائه وشدة ذكائه جمع بين الشيخ والقسيس والحخام عسى ان يقتنع بدين احدهم فلم يتيسر له الاقتناع اذ انما كان يبنيه احدهم يهدمه الآخر ففرق بينهم وانفرد بالقسيس وقال له انا أعلم ان دينك خير الاديان ولكني سائلك ايهما افضل اليهودية ام الاسلام قال اليهودية ثم انفرد بالشيخ وسأله ايهما افضل النصرانية ام اليهودية قال اليهودية ثم جمع بينهم في مشهد من وزرائه وحاشية ملكه وسراة قومه وقال لهم جميعكم اتفقت كلمتكم على ان اليهودية

(١) الكنز اى اصار يسرئيل جزء ٥ وجه ٢٦٢

افضل ولذا فانا اخترتها واختتن هو وقومه وأمر بالحبر فجعل يرشدهم ويهديهم ويعلمهم فرائض الله وشعائره ثم خلفه عبدياً من احفاده فرتب الحكم ونظم الملك وايد دين الله على طريقته وبنى المعابد وأسس المدارس وأتى بجملة من الاحبار فعلموا القوم المثنى والتلمود والصلاة والعبادة وما زال الملك نصيبهم الى أن افضى الى الملك يوسف خوزر ولكن الروس تغلبوا عليهم وبطشوا بهم وابادوا ملكهم وشتتوا شملهم

هؤلاء هم الكزريون الذين يقول المؤلف انهم الاصل في قرائي القرم وظاهر من تأريخهم وهو على لسان الربانين انفسهم كما تقدم ان الله بارك فيهم وتجلى عليهم بملائكته المكرمين وهداهم الى التوحيد بعد الاشراك وعظم شأنهم ومد ملكهم ورزقهم القوة والحول واكثر من نسلهم وفتح لهم كنوز الفضة والذهب

على ان التأريخ المحكى عنه لم يقل قول المؤلف ان بقيتهم هم جرثومة قرائي القرم بل قال صريحا ان البقية المذكورة بعضها اندمج في القرائين والبعض في الربانين قلت فاذا كان هناك اصل للكزرية في قرائي القرم ففي ربانيه ايضا واذاً فلا ميزة لرباني القرم على قرائيه في شبهة الاصل الكزرى

ومما يدل على افتراء المؤلف ان قرائي القرم كسائر اخوانهم القرائين في جميع الجهات لا يؤمنون بالمثنى والتلمود اى بالوهيته فكيف

يكونون كزريي الاصل والكزريون كما هو قول الربانين انفسهم تعلموا المثني والتلمود وكانوا يؤمنون به اى ربانين

والواقع كما هو قول الربانين ايضاً(١) وكماهي الادلة ان حكاية الكزرية هى رواية خيالية مختلقة لا اصل لهـا والا فاين كانت تلك المملكة اليهودية في سنة ٦٢٠ او ٧٤٠ كما هى اقوال الربانين وكيف لم يعلم بهـا اليهود او كيف خفيت عليهم واين هو التأريخ العام الذى يؤيدها وماذا كان وضع علمها الدولى وماهي حوادثها الدولية واين هي

ولكن الذنب للسخائم والاحقاد فهي التى ادت بالمؤلف الى هذه المطاعن والمثالب الكاذبة بل الى هذه الصغائر امام اهل العقول وكفى دليلا على ذلك ان المؤلف نفسه معترف (٢) ان بعض الربانين يسمون القرائين قرعيم (٣) تقريعا لهم اى تأنيبا وتعنيفاً لانهم قرعوا منهم اي انفصلوا وحدهم اعني أنهم شوهوا الاسم الاصلى ومسخوه بابدال الالف عينا ولكن ليعلم المؤلف هو ومن على شاكلته ان اقرع الى

---

(١) كتاب الكزري الثاني للعلامة داود نيطو طبعة سنه ٥٦٥٠ وجه ٣ وقد قرظه ثلاثة من علمائهم الاعلام

(٢) وجه ٦٢

(٣) قرع يقرع فى العبرية بمعنى شق مزق قدَّ قطع قريباً من المعنى العربي او هو هو

الحق اى رجع اليه فما حاولوه من المسخ والتشويه لاسم القرائين لا بأس بمعناه مع ذلك

ولا مشاحة في ان القول بان قرائى القرم كزريو الاصل هو قول فردى مع ذلك للمؤلف وحده لم يقل به احد من المؤرخين (١)

بقي ان نتكلم مع ذلك على ما جاء به المؤلف من الادلة على ان ليس قراؤالقرم من اليهود وانهم الى غيرهم اقرب منهم اليهم (٢)

قال الراوى واذا باحد الحجاب يدخل وبيده خطاب يسلمه الى الاستاذ ففضه وقرأه فاذا هو من المستشار يطلب منه ان يقابله بيديد وسوسن وابنير واستر وعمهما الحبر فاخبرهم الاستاذ الخبر قالوا لا بأس قال ولنبق تتمة الكلام الى ما بعد

— ٢٥ —

كان بالباب في انتظار ابنير واخته خادم لعمة لهما عجوز تدعوهما الى الغداء عندها

وكيف عرفت يا احمد اننا هنا

كنت عندكم بالبيت وهم اخبروني انكم هنا

---

(١) الكنز اي اصار يسرئيل جزء ٩ من وجه ٢٠٩ الي ٢١٥ ثم وجه ٢٢٩ وهو تأريخ القرائين في جميع البلاد علي لسان الربانين انفسهم

(٢) من وجه ٥٨ الي ٦٣ وقد مرت بكتابنا هذا من وجه ٧٢ الى ٩٧

ولكنهم في البيت يا احمد ينتظروننا ولا علم لهم

لا بل اخبرتهم يا سيدي ابنير انكما تتغديان عند سيدتي وضحك

وعليمَ تضحك

لا لشيء يا سيدي

لا بل قل ولا تخف

فاستحي الخادم وخفض رأسه قليلاً الى الارض كأنما هو يتحاشى ان يقول ما في نفسه

قل لي ماذا يا احمد ولا تخف

فضحك الخادم وقرب منه يهمس اليه فانتبذ به وقال له أوَ سر هو من الاسرار يا احمد

ليس هو سر يا سيدى ولكن . . . ولكن . . .

ولكن ماذا فلقتني

فضحك الخادم وقال له قل لي اولاً من هذان أهما عروسك وعروس استر

لا بل قل لي أنت اولاً لماذا هذا السؤال

لان عمتك يا سيدي ولا اخفى عليك تقول انهما اسودان كالغراب وآذانهما طويلة وكيأجوج ومأجوج في القصر

فقهقه ابنير وقال له لا يا احمد هذان ليسا العروسين وانما هما من

اصدقائنا ومن اهل ملتنا لا من اليهود القرائين وان شاءت عمتي ان تتغدى عندها فليتغديا معنا

لا بأس يا سيدي هلموا جميعاً

لا يا احمد اذهب اولاً اخبرها وها نحن في انتظارك وهذا البيت قريباً

فهرول الخادم يجري والتفت ابنير وهو يضحك الى يديد وسوسن وقص عليهم الخبر فضحكت استر اكثر منهما . قال لهما لنذهب معاً ونتغدَّ سويا ولا بدَّ ان يعود الخادم بالتأهيل والترحيب ولنقضها ساعة في ترويح النفس فعمتي وان كانت عجوزاً فهي انيسة جليسة

قال يديد ولكن يا ابنير نحن لا نعرفها ولا تعرفنا

انا نكرتكما يا يديد في عين الخادم فلن يعرفكما أحد وهذا هو مرجع الأُنس والانشراح ولذا فلتتسميا باسمين آخرين

ولكن يا يديد اخشي ان يفتضح لها الامر فتتألم وتخجل مما ستقوله علينا فترى نفسها ضحكة في أعيننا

لا يا يديد لا تخف فهي لن تدري ابداً واذا الخادم مهرولا قال هلموا هلموا فوالله سرت كثيراً بالضيفين الصديقين وشددت عليَّ ألا ابرح الا بهما فساروا جميعا ودخلوا البيت وكانت على متكأ طويل وبعينيها نظارة بيضاء فالتفتت بها اليهم وقالت مرحبا مرحبا واعتذرت

عن الوقوف لـكبر سنهـا وعتبت على ابنير كيف يتحاشي فيتوقف على الاذن منها وهو ليس غريبا والبيت بيته فشكروا لها جميعا ثم التفتت الى الضيفين وقالت أمن مصر . قال ابنير لا بل من الاسكندرية يا عمتي . قالت اهلاً اهلاً ولعلهما من اوروبا فهما بيض وصورتهما جميلة ومالت الى سوسن وقبلتها وسألتها اسمها فتلعثمت قليلا وقالت اسمي نلي . قالت تالله اني احببتك يا نلي ونزلت من دمي منزلة الروح في الجسد بارك الله فيك يا بنيتي وحرسك بعين عنايته . والتفتت الى ابنير وقالت هذه هي العروس التي تليق بك فهي جمال وقوام وقد واعتدال لا تلك التي تريد ان تأخذها من قرائي القرم كما سمعت ثم التفتت ايضا الى يديد وسألته اسمه وكان اعد له اسماً في نفسه فقال على الفور حنان : قالت وهذا هو كذلك العروس الذي يليق بك يا استر أوَ ضاقت الدنيا بكم حتى لا تأخذوا الا من قرائي القرم أولئك الذين وجوههم اسود من الغراب وعيونهم اضيق من سم الخياط وقامتهم اقصر من قبضة اليد وشعرهن كشعر العبيد والاماء تجعداً وكثاثة وآذانهم اكبر من آذان الحمير ووجوههم كوجوه القطط صفراً واستدارة يتسكعون في مشيتهم وهم يرفلون في حال الخمول والكسل منخفضي الرؤس غمازين همازين تقتلهم الغيرة والحسد وتطفح عيونهم الخبث والدهاء

قال ابنير ومن اين عرفت كل هذا يا عمتي

عرفته يا ولدي من كتاب دليل القرم وها هو عندي فخذ واقرأ الوجه ١٠٨ نعم اني لم أرَ احداً من القرم ولم أرَ قرائيها ولكن واضع الكتاب يا ابنير عالم فاضل وشيخ مسن ولا يخطر ببال أحد ان يكون كاذباً مختلقا ولا سيما ان قد اثنى عليه كثيرون من المقرظين العظام بالقرم وغيرها

قال الراوي واذا بالخادم يدنو منها يهمس اليها فقامت تمشى مشية الضعف والاعياء واخذوا هم يهمسون الى بعض قال يديد أرأيت يا ابنير كيف حدت لسانها علينا . قال هو كلام مطبوع وانت عالم به من قبل وكنت على وشك تفنيده امام الاستاذ . قال ولكني كالاخرس لا استطيع ان ارد عليها بكلمة . قالت استر دعنا منها يا يديد فهي عجوز وها نحن تفكهنا بكلامها وان كان هجواً وضحكنا منها في سرنا قال ولكن انظروا كيف تكون نتيجة الاكاذيب والمختلقات من التأثير على العقول والافكار قاتل الله البغض والعداء واذا بها راجعة تقول هاموا بنا الى المائدة ولشدة تعلقها بسوسن جعلتها الى يمينها وما زالت تقبل عليها وتعجب بها حتى خيل انها على كبر سنها عشقتها عشقا وبعد أن قضوا لبانتهم من الطعام اقبلت استر على البيانو فضربت وغنت ثم استعطفت سوسن فضربت وغنت وتبعها ابنير بالعود فكاد يرقص

الطرب في وجههم رقصا وجعلت العجوز تقبلها وتستعيد وتقبلها وتستعيد الى ان لم يبق محل للمزيد فكانت ساعة من ساعات السعادة وفرصة من فلتات الدهر

— ٢٦ —

كاد ما كان من العمة العجوز ينسيهم موعد المستشار لولا ان جاءت الذكرى فاسرعوا اليه والوقت آخر لحظة وكان الاستاذ والحبر قد سبقا فتلقاهم المستشار بالهشاشة والابتسام وامر الحاجب ان لا يدخل عليهم أحد ثم ابتدأ يحادثهم قال انا دعوتكم لالقى على مسامعكم الكريمة كلمتين وارجو ان يكون لهما ما ينبغي من القبول انا اطلعت على كل ما دار بينكم وبين بعض من الجدل والمناظرة واعجبت بها جدا ولكني اود ان تقفلوا هذا الباب بعدُ واود ان يكون القراؤن والربانون على محبة وصفاء وان تتناسوا ما مضى وان لا يفتات احدكم على الآخر فنحن في زمن غير الزمن وايام غير الايام وهذه فلسطين قد فتحت لليهود عامة بعد ان اجمعوا على طلبها جميعا بما فيهم القراؤن فجميعكم يهود من سلالة واحدة سلالة ابراهيم واسحق ويعقوب ولا دخل للقومية في الخلاف بينكم فليكن هذا الخلاف ما شاء ان يكون فهو لا يؤثر ابداً على القومية فكلكم يهود وسرني ما علمته ان الربانين منكم يفكرون الآن في الاهتمام بامر الشرع والدين والتروي

فيما يحتاج منه الى النظر والتدبير بحسب احوال الزمان والمكان واعتقد ان الخلاف بينكم وبين بعض يقل بذلك عنه اليوم نعم انا لا شأن لي بكم ديناً او مذهبا وانما هي الانسانية حملتني على هذا التداخل الودى ولا بأس باذاعته فهو شخصي محض لا علاقة له بمنصبي اما الشكوى السابق تقديمها من بعض القرائين فقد أشرت بحفظها وكنت اود ان اتوسع معكم في البحث لانه يعجبني لولا ضيق الوقت وعسى ان نتلاقى بعدُ ولكني اريد ان اعرف ماذا يقضي به المجلس الشرعي عندكم يا عزيزي يديد في المسئلة . قال موعد الحكم فيها بعد الغد . قال ارجو ان تخبرني به في حينه فاراد الحبر ان يعود الى نغمته على القرائين فنبهه المستشار بلطف الى غايته من دعوته اياهم فسكت ثم بدا لهم ان يستأذنوا ففعلوا وانصرفوا شاكرين مشكورين

— ٢٧ —

جاء اليوم الموعود للنطق بالحكم في المسئلة الشرعية بدار شرع القرائين فغصت قاعة الجلسة بالحاضرين وحضر يديد وسوسن وابنير واستر والاستاذ وحضر بعض الربانين وجعلوا يتكلمون فبعضهم يقول اظن ان الحكم سيؤجل والبعض يقول لا بل لا بدَّ من صدوره اليوم والبعض يقول انه لن يصدر ابداً ما لم يكن برفض قبول الزواج والبعض يقول ان القضاة وصلت اليهم خطابات مجهولة الكاتب بعضها بالاستحرام

والبعض بالاستحلال وبعضها تجهيل وتسفيه ليديدو بعضها شكر له وثناء عليه واقرار له بخدمة العلم وخدمة اهل فرقته والانسانية والبعض بالتحذير منه للاشتباه في مقصده فلعله يقصد خلط الفرقتين ببعض لغاية في نفسه وما زال الحاضرون على هذه الحال بين مادح وقادح ومحبذ ومسوء وراض وناقم وشاك وشاكر ومنصف وظالم ومشرق ومغرب وصاعد ونازل حتى امتلأت النفوس وطفحت الكؤس وقد تأخر القضاة في الجلوس وكادت تضيق الصدور لاخلاف الميعاد

قال الراوى وبينما الناس على هذه الحال اذا بالحاجب يصرخ صرخة التنبيه الى دخول القضاة للجلوس فانزعجت من صرخته وانتفضت من نومي وقمت مذعوراً وجلست كالمذهول اتلفت يميناً وشمالاً وامسح عينيّ بيديّ غير مصدق انها رؤيا وودت ان لو عاودني النوم في الحال لأرى ماعسى ان كان يقضى به القضاة في هذا الاشكال

الفقير اليه تعالى

مراد فرج

٢٥ يونيه سنة ١٩٢٠ — بمصر

المؤلفات

رسالة فى الاموال

المجموع فى شرح الشروع التهذيب النهلست في الروسيا	نفدت نسخها

دعاوى وضع اليد طبعة ثانية

مقالات مراد

ديوان مراد

شعار الخضر

الفروق

القراؤن والربانون

اليهودية وهو هذا وثمن النسخة عشرة قروش صاغ